Al-Daleel
مؤسسة الدليل للدراسات والبحوث العقدية
Al-Daleel Institution for Doctrinal Studies

The Conscious and Unconscious Collective Mind: Implications and Repercussions for Religious Belief

Ali Al-Asadi
Assistant Professor of Jurisprudence and Islamic Knowledge, Al-Mustafa International University, Iraq.
E-mail: ALIALASADI1966@gmail.com

Abstract

Many researchers see the collective mind as a drawback for nations, primarily because individuals within it tend to follow others blindly, without thinking for themselves. Some even call this a "herd mentality," where individual thought disappears and actions become unconscious, controlled by the group. Each group often believes that its unity is right and that everything else is wrong and dangerous. But this completely negative view isn't accurate or helpful. We can distinguish between a "conscious collective mind," which is based on facts and good reasons, includes smart, aware, and creative people, and supports practical ideas that benefit society; and an "unconscious" one, based on chaos and ignoring individual thought, which harms national unity and the discipline of people. So, this study, which describes and analyzes the issue, concludes that we can accept the collective mind, but only the "conscious collective mind"-and we should engage with it. When smart people come together and focus on the same goals, it helps the nation move forward. The collective mind of leading figures is the best kind for guiding the nation, embracing genuine religious thinking, which builds strong societies and fills gaps in human relationships in all areas. It's a positive force that improves the nation, unlike the unconscious collective mind, which can corrupt it unless controlled.

Keywords: Collective Mind, Herd Mentality, Crowd Psychology, Conscious, Unconscious, Individual Behaviors.

Al-Daleel, 2025, Vol. 8, No. 27, PP .38-71

Received: 03/01/2025; Accepted: 07/02/2025

Publisher: Al-Daleel Institution for Studies and Research

©the author(s)

CC BY

الدليل Al-Daleel
مؤسسة الدليل للدراسات والبحوث العقدية
Al-Daleel Institution for Doctrinal Studies

العقل الجمعي الواعي واللاواعي.. الآثار والتداعيات على الاعتقاد الديني

علي الأسدي
أستاذ مساعد في قسم الفقه والمعارف الإسلامية، جامعة المصطفى العالمية، العراق.
البريد الإلكتروني: ALIALASADI1966@gmail.com

الخلاصة

يعدّ العقل الجمعي نقطةً سلبيةً في مسيرة الأمم عند أغلب الباحثين، معتقدين أنّ السبب الرئيسي في هذا التوجّه هو أنّ أفراد هذا العقل تابعون لغيرهم من دون وعي ولا شعور، حتّى وصل الأمر ببعضهم إلى وصفهم بـ"ظاهرة القطيع"، فغياب العقل والتصرّف بلا وعي تعني وجود عقل يعمل في ضمن عقل الجماعة، ويظهر في تصرّفاتهم، فكلّ جماعة تعتقد بأنّ ارتباطها الجماعي هو الحقّ، وما عداه ضلال وخطر على البشرية، وهذا بإطلاقه وعلى نحو السالبة الكلّية غير تامّ ولا يمكن قبوله؛ إذ يمكن تقسيم العقل الجمعي إلى "عقل جمعي واعٍ" قائم على الأدلّة والبراهين ويضمّ عناصر منظّمةً وواعيةً ومبدعةً، وتتبنّى أفكارًا عمليةً قيّمةً، ولها آثار وتداعيات إيجابية على مسيرة المجتمع، وآخر"لاواعٍ" قائم على الفوضوية وإلغاء العقل الشخصي، وهو سلبي الآثار على تكامل الأمّة وانضباط أفرادها؛ ولذا كان بحثنا هذا بحثًا وصفيًّا وتحليليًّا أوصلنا إلى نتيجة مفادها أنّه يمكن قبول العقل الجمعي على نحو الموجبة الجزئية، وهو "العقل الجمعي الواعي"والتفاعل معه؛ لأنّ تجميع عقول الأفراد وتوحيدهم في الأهداف والغايات عند نخب المجتمع يمثّل انطلاقةً تكامليةً في الأمّة، فالعقل الجمعي النخبوي يمثّل أفضل أنواع العقول الجمعية في قيادة الأمّة، ويتبنّى الفكر الديني الأصيل الذي يعدّ البناء الأمثل لتكامل المجتمعات، ويسدّ الفراغات في الاجتماعات البشرية على الأصعدة كافّةً، وهو عقل إيجابي صالح يقوّم الأمّة ولا يفسدها بخلاف العقل الجمعي اللاواعي الذي يفسد الأمّة، ما لم توضع ضابطة تتحكم بتصرّفاته.

الكلمات المفتاحية: العقل الجمعي، ظاهرة القطيع، سيكولوجيا الجماهير، الواعي، اللاواعي، سلوكيات الأفراد.

مجلّة الدليل، 2025، السنة 8، العدد 27، ص. 38 ـ 71
استلام: 2025/01/03، القبول: 2025/02/07
الناشر: مؤسّسة الدليل للدراسات والبحوث
© المؤلّف

المقدّمة

تعيش الأمم وهي تسعى لبناء مجتمع متكامل يرتقي إلى المراتب العليا على وفق الأسس الصحيحة، وتخوض الصراعات من أجل التفوّق في جميع الأصعدة، ولا إشكال في أنّ التفوّق الفكري والعلمي لأبناء الأمّة يشكّل نقطة التحوّل في الخريطة المجتمعية، فترك أبناء أغلب الأمم هذه الثنائية وانغمسوا في شوائب الدنيا، وضاع عليهم الحقّ، وشاع فيهم الجهل، فدخلوا في متاهات الظلام، واستحبّوا الحياة السائبة التي لا هدف لها ولا كمال، فتهاوت الأخلاق وتحرّك الناس في مسارات الاحتراق (الحروب) فلا عقل يرشدهم ولا حكمة تروّضهم، بينما نجد أنّ بعض الأمم قد انقسم أفرادها بين الالتزام بهذه الثنائية ـ فشكّلت جماعات النخب التي تساهم بشكل كبير في رقيّ الأفراد وتكاملهم ـ وبين من تركها فسار في ركب الجهل والظلام، وهؤلاء هم الأغلبية العظمى من الأشخاص، فشكّل كلٌّ منهم عقلًا جمعيًّا يتحرّك على وفق الأهداف التي يتبنّاها والغايات التي يريد الوصول إليها، وفي ضوء هذا التجمّع فقد الفرد عقله الشخصي، وسار ضمن العقل الجماعي؛ ولهذا عدّ بعضهم العقل الجمعي بإطلاقه يشكّل خطرًا محدقًا بالأمّة فرفضه رفضًا قاطعًا مستندًا في ذلك إلى الخطورة التي يحملها هذا العقل الجمعي، والسلبيات التي يتضمّنها، وإمكانية استغلاله من قبل من كان قادرًا على إدارته وتسييره؛ لذا يمكن أن نطرح السؤال التالي: هل العقل الجمعي بإطلاقه يشكّل خطرًا وتهديدًا للأمّة؟ وعلى فرض ذلك هل من الممكن إدارته بالصورة الصحيحة وتحويله من كونه سلبيًّا إلى مصافّ الإيجابيات؛ ليكون عنصرًا في التكامل والبناء أم لا يمكن ذلك؟ والسؤال الأخير ما الآثار والتداعيات التي تحصل من العقل الجمعي على الاعتقاد الديني؟ فكلّ هذه الأسئلة وغيرها قد أجبنا عنها في هذه المقالة التي أسميناها بـ "العقل الجمعي الواعي واللاواعي.. الآثار والتداعيات على الاعتقاد الديني" لنصل الى النتيجة التي تفصّل بين العقل الجمعي النخبوي الذي يمثّل جمعًا إصلاحيًّا تكامليًّا وبين العقل الجمعي الشعبوي الذي يشكّل الخطر على الأمّة ومستقبلها، ولكن مع ذلك يمكن لنا السيطرة على هذا العقل الجمعي وإدارته وفق المصلحة العامّة للمجتمع، وجعله عقلًا مساعدًا في بناء الفرد أوّلًا والأمّة ثانيًا، وكلّ هذا سيتّضح لك من خلال هذه المقالة.

المبحث الأوّل: التعريف بمفردات البحث

قبل البدء ببيان مباحث هذه المقالة لا بدّ من التعرض إلى توضيح معاني بعض المفردات التي وردت في العنوان، كالعقل الجمعي الواعي واللاواعي لغةً أوّلًا، ثمّ تعريفهما اصطلاحًا ثانيًا.

أوّلًا: العقل الجمعي الواعي واللاواعي لغةً واصطلاحًا

1ـ العقل الجمعي الواعي واللاواعي لغةً

لكي يتّضح المعنى بصورة كاملة للعقل الجمعي الواعي واللاواعي في اللغة عند القارئ؛ لا بدّ من تفريق المصطلح إلى مفاهيم عدّة: كالعقل والجمعي والواعي واللاواعي.

أ ـ العقل لغةً

عرّف العقل لغةً بأنّه «ضِدُّ الحُمق، أو هو العِلمُ بصفاتِ الأشياءِ من حُسنِها وقُبحِها وكمالِها ونُقصانِها، أو هو العِلمُ بخيرِ الخَيرَيْن وشَرِّ الشَّرَّيْن أو مُطلَقٌ لأمورٍ أو لقُوَّةٍ بها يكون التَّمييزُ بين القُبحِ والحُسنِ [الزبيدي، تاج العروس، ج 15، ص 504]. وقيل: «العَقْلُ: الحِجْر والنُّهى، ضِدُّ الحُمْق والجمع عُقولٌ ... ورَجُل عاقِلٌ وهو الجامع لأَمره ورَأْيه ... وسُمِّي العَقْلُ عَقْلًا لأَنه يَعْقِل صاحبَه عن التَّوَرُّط في المَهالِك، أَي يَحْبِسه» [ابن منظور، لسان العرب، ج 11، ص 458]. ويمكن القول إنّ العقل يُستعمَل في جميع هذه المعاني.

ب ـ الجمعي لغةً

وهو مشتقٌّ من الاجتماع، والناشئ من جمع الأفراد بعضهم الى بعض والجمع: «جَمَعَ الشيءَ عَنْ تَفْرِقة يَجْمَعُه جَمْعًا وجَمَّعَه وأَجْمَعَه فاجتَمع ... وجمَعْتُ الشَّيْءَ إِذا جِئْتَ بِهِ من هاهنا وهاهنا. وتجمَّع الْقَوْمُ: اجْتَمَعُوا أَيضًا من هاهنا وهاهنا» [ابن منظور، لسان العرب، ج 8، ص 53].

جـ ـ الواعي لغةً

وهو مأخوذ من وعى: أي حفظ وفهم، وعَى الشيء والحديث يَعِيه وَعْيًا، وأَوْعاه حَفِظَه وفَهِمَه وقَبِلَه، فهو واعٍ، وفلان أَوْعَى من فلان أَي أَحْفَظُ وأَفْهَمُ. [ابن منظور، لسان العرب، ج 15،ص 396]. وقال الطريحي: «الوعيُّ بتشديد الياء: الحافظ الكيّس الفقيه العالم، ... وما وعى ما حفظ من معرفة الله تعالى، ومنه حديث عليٍّ عليه السلام: "لو وجدنا أوعيةً أو مستراحًا لقلنا"، أي قلوبًا تحفظ الحقّ وتعقله» [الطريحي، مجمع البحرين، ج 1، ص 444].

د ـ اللاواعي (الباطن) لغةً

الـلاواعي كلمـة أصلهـا مـن "لاوعي" وهي في صـورة اللفـظ المفـرد تقـع نفيًـا لمـا في لفظـة الواعي، فتكـون بمعـنى نـفي الفهـم والحفـظ، وهـو كلّ مـا يظهـر مـن الإنسـان مـن دون وعي ولا فهـم ولا شـعور مـن قـول أو فعـل، وقد يوصـف باللاشـعور أو الباطـن والذي يـراد بـه "الجـوف أو المحتجب". [انظر: ابن منظور، لسان العرب، ج 13، ص 55]

2ـ العقل الجمعي الواعي واللاواعي اصطلاحًا

أ ـ العقل الجمعي الواعي اصطلاحًا

عُـرّفَ العقـلُ الجمـعيُّ الـواعي بتعريفـات تصبّ كلّهـا في معـانٍ متقاربة، فقيـل إنّه «هو الذي ينشـأ مـن اجتمـاع الأفـراد بعضهم مع بعـض، واحتـكاك أفكارهم، وتقابـل وجداناتهم ونزعاتهـم، وهو وضع خـاصّ له مسـتلزماته ومقتضياتـه، فيتّجـه بهم وجهـاتٍ معيّنةً في مختلف شـؤون حياتهـم، وفي علاقة بعضهـم مـع بعـض» [حبيش، طه، الأخلاق في إطار النظرية التطوّرية، ص 132]. وعرّفـه دوركايـم (Durkheim) بأنّـه: «صـورة مـن المعتقـدات والتصـوّرات والقيـم والعواطـف والمشـاعر الجمعيـة المشـتركة بـين أفـراد الجماعـة، وتشـكّل قـوّةً أخلاقيّـةً واجتماعيّـةً تفـرض هيمنتهـا على عقـول الأفـراد وضمائرهم» [دوركايم، الانتحار، ص 61].

ب ـ العقل الجمعي اللاواعي (القطيع) اصطلاحًا

قـد يـراد مـن العقـل الجمـعي الـلاواعي ما قابـل العقـل الجمـعي الـواعي والـتي هي تجميـع للعقول اللاشـعورية والمعـبر عنهـا بــ «مخـزن الأفـكار التي مـرّت بنـا ونسـيناها، ولا تظهـر إلّا في أحـوال غير عاديـة» [وحيـد الديـن خـان، الإسـلام يتحـدّى، ص 28]، أو هي اجتمـاع للعقـول الباطنـة والمعروفـة بأنّهـا "مركـز للعواطـف والانفعـالات ومخـزن للذاكـرة"، فالعقـل الباطـن يمثّل جزء الأرشـيف للعقـل، فهو يحتوي على المعلومـات والصـور المخزّنـة كافّـةً [انظـر: تـوني، قـوّة عقلـك الباطنـي، ص 13]، أو قـد يطلـق عليه في بعض الأحيـان صفـة "القَطيـعُ" والمقصـود بـه التجمعـات البشرية الـتي تنقاد بـلا وعي، فهـو مصطلح انتشر تـداوله بـين النـاس لوصـف هـذه التجمّعـات تشـبيهًا لهـا بحالـة الحيوانـات المنسـاقة خلـف بعضهـا البعـض مـن دون أي تفكـير أو إرادة، فالقطيـع البـشري (Humam Herd) يطلق في المجتمع الإنسـاني على «جماعـة مـن الأفـراد تحرّكها رغبات مشـتركة تتبـع زعيمًا وتتميّز بضعـف التنظيم وأنمـاط الرقابة ... ويقـال روح القطيـع ـ وهـو المعـنى المـراد ـ (Herd spirit) لرغبـة بعـض الأفـراد في أن تتّبـع بصفـة عميـاء معتقـدات وأسـاليب الجماعـة» [أحمـد زكي بـدوي، معجـم مصطلحـات العلـوم الاجتماعيـة، ص 193].

فالقطيع إذن هو سلوك جماعي من قبل الأفراد وتصرّفهم من دون إرادة ووعي، وإنّ سلوكهم خاضع لتوجّهات الجماعة التي ينضوون تحتها، وبعبارة أخرى هي تغلّب العقل الجمعي السلبي واللا شعوري على العقل الفردي والانقياد له من غير إرادة ولا تفكير.

ثانيًا: الفرق بين العقل الواعي والعقل اللاواعي

لاإشكال في أنّ هنالك فرقًا بين العقل الواعي واللاواعي؛ ولهذا الفرق ثماره الكبيرة التي يمكن أن تحصل على صعيد بيان الشخصية الحقيقية للإنسان، أو على صعيد التوجّه الفكري له، فمنذ طفولته إلى نهاية حياته يحتفظ بمجموعة هائلة من الأفكار والتصوّرات والعادات والمواقف التي تمرّ به، وتبقى جميع هذه الأمور موجودةً في ذاكرته وإن نسيها بعد حصولها بفترة وجيزة، إلّا أنّ هذا لا يعني نفيها وحذفها من خزين العقل؛ إذ من الممكن إعادة تذكّرها مرّةً أخرى وإن طال زمانها، فإنّ هذا الكمّ الهائل من هذه الأمور التي عرضت على صفحات حياة الإنسان إنّما يتمّ حفظها وخزنها عنده؛ لذا يمكن القول إنّ لكلّ إنسان عقلين: عقلًا آنيّ التعامل مع المعلومة الواردة وقد يعبر عنه بالعقل الواعي، وعقلًا خازنًا للمعلومات الواردة على العقل الواعي، وهو ما يطلق عليه بالصندوق الأسود للإنسان، ويعبّر عنه بالعقل اللاواعي، ولكلٍّ منهما دوره في ترتيب مسيرة الإنسان، فبالإضافة إلى دورهما في جانب الوظائف الإرادية وغير الإرادية لأجزاء البدن الإنساني المختلفة، فكذلك لهما دور في جانب التفكير واستقبال المعلومة الواردة عليهما؛ ولذلك يمكن القول إنّ هنالك فوارق بين العقلين في الجانب الأخير يمكن إيجازها بإمور عدّة:

1ـ بما أنّ العقل الواعي آنيّ التعامل مع المعلومات الواردة؛ لذا تقع عليه مهمّة التفكير والتحليل والتخطيط بخلاف العقل اللاواعي، فلا علاقة له بكلّ هذه الأمور، وإنّما مهمّته تخزين المعلومات الواردة على العقل الواعي وأرشفتها، فوظيفته إذن جمع المعلومات وتخزينها ليعيدها إلى العقل الواعي عند الحاجة إليها، ولا علاقة له في معالجة المعلومات الواردة إليه وتصحيحها؛ لأنّ هذه وظيفة العقل الواعي عند استرجاعه للمعلومات المخزونة. [انظر: توني، قوّة عقلك الباطني، ص 10]

2ـ أنّ العقل الواعي (الشعوري) إنّما يكون عمله في حالة اليقظة والانتباه بينما العقل اللاواعي (اللاشعوري) يكون عمله في حال اليقظة والنوم معًا، فهو يعمل طوال اليوم بلا توقّف. [انظر: المصدر السابق، ص 9]

3ـ أنّ مهمّة الأمر والنهي والتوجيه والإرشاد تقع على عاتق العقل الواعي؛ لذا فمن مهامّه أن يقوم بعملية التحليل والتفكير، بينما مهمّة العقل اللاواعي تكون في تنفيذ ما يقوم بتحقيقه وإقراره من قبل العقل الواعي، فمهمّته تنفيذية. [انظر: فان فليت، القوة الخفيّة للعقل الباطن، ص 10 و11]

4ـ إذا كان من مهامّ العقل الواعي التحليل والتفكير، فهذا يعني أنّه لا يقبل إلّا المعلومة الصحيحة والصائبة، فله أن يقبل الفكرة أو يرفضها، بينما العقل اللاواعي يقبل المعلومات الصحيحة والخاطئة على حدٍّ سواء؛ لأنّه الخازن للمعلومات؛ إذ يقوم بتخزين جميع آراء الفرد وتوجّهاته، وبناءً على هذا يكون التفكير السلبي أو الإيجابي في ضمن ما يخزنه من آراء. نعم، يمكن أن يكون لتكرار المعلومة جانب من قبولها في العقل اللاواعي على أنّها حقٌّ وهي الصحيحة.

[انظر: توني، قوّة عقلك الباطني، ص 249 و250]

وهنالك فوارق أخرى بين العقلين، بيد أنّا اكتفينا بما ذكرناه تلبيةً للاختصار واقتصارًا على موارد الحاجة.

المبحث الثاني: أقسام العقل الجمعي

يعدّ العقل من أهمّ مصادر الدراسات الفكرية والعلمية، فأصبح دوره في حياتنا وتأثيره على تفاعلنا مع المحيط أعمق وأوسع، فتحقّقت لدينا رؤية في تفاعل العقل مع التجارب والعوامل التي تؤثّر في المعلومات واتّخاذ القرارات أكثر وضوحًا؛ لذا فالعقل يمكن أن يعزّز مجالات الابتكار والإبداع، وهذا الكلام ينصبّ على العقل الشخصي أو الفردي، ولكنّ اجتماع تلك العقول الشخصية سيشكّل عقلًا جمعيًّا، فهل يمكن من اجتماعها أن تحقّق هذا التكامل والرقيّ أيضًا أو لا يمكن لها ذلك لاختلاف العقول الشخصية فيما بينها؟ والأقوال في ذلك مختلفة، فأحدها يذهب إلى أنّ العقل الجمعي فيه من الآثار الإيجابية الكثيرة، ويمكن أن يحقّق التقدّم والرقيّ؛ لأنّه يعدّ عقلًا متكاملًا، فيما ذهب الآخر إلى سلبيته وخطورته؛ لأنّه سيجعل العقل الشخصي فاقدًا لكلّ مقوّمات الاستقلال، فيكون تابعًا للآخرين ومسلوب الإرادة والاختيار فيصبح حاله كحال القطيع الذي يساق من غير إرادة، ولكن يبقى هذا الكلام وغيره في مدى صحّته أو عدمها متوقّفًا على بيان أقسام العقل الجمعي، وأيّ الأقسام يمكن أن يكون إيجابيًّا وأيّها يكون سلبيًّا، وقد اعتمدنا في وجه التقسيم هنا على جانب العمومية والخصوصية في الاجتماع أوّلًا وثانيًا من حيث وصف مقام الاجتماع، وكلّ ذلك سيظهر من خلال تقسيم العقل الجمعي إلى قسمين في ضوء الترتيب المذكور في وجه التقسيم:

أوّلًا: العقل الجمعي الشعوري (الواعي) والعقل الجمعي اللاشعوري (اللاواعي)

لا إشكال في أنّ العقل الفردي يشكّل الأساس في تكوين العقل الجمعي وهو المحور الرئيس فيه، إذ إنّ العقل الجمعي إمّا أن يكون ناشئًا من اجتماع العقول الفردية ومشاركتها في قضيّة ما أو هدف موحّد، وإمّا أن تكون هذه العقول منقادةً ومسلوبة الإرادة وتابعةً لعقلٍ فرديٍّ قائدٍ معيّنٍ أو قضيّةٍ معيّنةٍ، وثمّة فرق بين الاثنين، فالأوّل أنّ العقل الفردي يبقى محتفظًا بذاته وإرادته، وكلّ

مـا في الأمـر هـو حصول إجمـاع واجتمـاع لهـذه الإرادات على قضيّـة أريـد تحقيقها، أو هـدف مطلوب لجميـع هـذه العقـول الفرديـة، وهـذا الأمـر يمكـن أن يكـون قريبًـا مـن "الشـورى" في الإسـلام، فكلّ العقـول تبـقى محتفظـةً برأيهـا الفـردي، فـإن تطابقت الآراء شـكّلت عقـلًا جمعيًّـا هادفًا يحقّـق الوصول إلى النتيجـة المطلوبـة، وإلّا تعارضـت واحتفـظ كلّ عقـلٍ بفكـره وإرادتـه. وأمّـا الثاني فالعقـل الفردي فيـه يكـون مسـلوب الإرادة، فهـو تابـع لمـا أريـد له أن يكـون، سـواء كانـت تابعيتـه لعقـلٍ بذاتـه أو قضيّـةٍ بذاتهـا مـن دون أيّ تدخّـل لإرادة الفـرد فيهـا، فهيجـان المشـاعر للجماعـة قـد جرفتـه كما جرفـت غـيره ـ لهـذا قلنـا عنـه إنّه تابـع لغـيره ـ وقد يُعـبّر عن العقـل الجمعي الـلاواعي (اللاشـعوري أو الباطـني) في بعـض الأحيـان بـ"ظاهـرة القطيع" تشـبيهًا له بسـلوك القطيـع الحيـواني الذي يتحرّك من غـير إرادة منـه، وإنّمـا يحرّكه الراعي أو المسـير الجمـاعي للقطيع، وقـد يصدق هذا الوصـف على القطيع البـشري (humam Herd) الذي يطلـق في المجتمـع الإنسـاني على «جماعـة مـن الأفـراد تحرّكهـا رغباتٍ مشـتركةً تتبـع زعيمًـا وتتميّز بضعـف التنظيـم وأنمـاط الرقابـة ... ويقـال روح القطيع ـ وهـو المعنى المـراد ـ(Herd spirit) لرغبـة بعـض الأفـراد في أن تتّبـع بصفـة عميـاء معتقـدات وأسـاليب الجماعة» [أحمـد زكي بـدوي، معجـم مصطلحـات العلـوم الاجتماعيـة، ص 193]. ويعدّ هذا العقل من أخطـر العقول مطلقًا، فهو يقـع على شـفير حدّيـن متضادَيـن من القضايـا التي يتعامـل معها، فقـد يتعامل مـع القضايـا الصادقة والحقّـة، وبالتـالي يصـل إلى الهـدف الصحيح فيكـون إيجابيًّـا، وكذلك يمكـن أن يتعامل مـع القضايا الباطلـة والمنحرفـة فيصبح سـلبيًّا ويكون سـببًا في انهيـار أعظم المنظومـات الفكريـة والعقدية، ففي هـذا العقـل ينطـوي الصالـح والطالـح والحقّ والباطـل، بينما نجـد العقل الـواعي (الشـعوري) خلاف ذلـك؛ لأنّـه يتعامـل مـع القضايا الآنيـة في ضوء التفكـير والتحليـل للمعلومـات الواردة إليـه؛ فلهذا قلنـا إنّ الأوامـر تقـع على عهدته، وقـد مثّله بعضهم بربـان السـفينة الذي يتمتّع باليد العليـا في قيادة السـفينة، فهـو مـن يوجّـه كلّ الأنشـطة على ظهـر المركـب؛ إذ يصـدر الأوامر لجميـع أفراد السـفينة، كذلـك العقـل الـواعي، فهو السـيّد الذي له سـلطة إصـدار الأوامـر، بينما العقـل الباطن مَثَلُـهُ كمثل طاقـم السـفينة الذي يأتمـر بأوامـر الربّان. [انظر: فـان فليـت، القـوّة الخفية للعقـل الباطـن، ص 10 و11]

وبمـا أنّ فيـه خزينًـا من المعلومات الإيجابية والسـلبية فقد وصّفها مايـرز (Meyers) بقـوله: «إنّ العقل الباطـن يحتـوي على منجـم من الذهـب وكومة مـن الأقـذار أيضًـا» [الـوردي، خـوارق اللاشـعور، ص 38]. والمقصود مـن هـذا القـول هـو أنّ العقل الباطـن يضـمّ في جنباته مبادئ الخـير والـشرّ والأفكار الصحيحـة والخاطئة والمعلومـة النافعـة وغـير النافعة، فلـو فرضنـا أنّ عقلًا جمعيًّـا لاواعيًا تشـكّل في منظوره السـلبي من هذه العقـول اللاشـعورية الـتي تحمـل الفكـر الخاطـئ، فانظر مـاذا سـيحصل، خصوصًـا إذا كان هـذا العقل منقـادًا مـن أصحـاب الفكـر المنحرف، فـلا إشـكال في أنّ الطامّة سـتكون كبـيرةً، والانحراف سـيكون

واسعًا، بينما لو تشكّل العقل الجمعي من العقول الواعية (الشعورية) التي تتمتّع بالمنهج التحليلي والتفكير العلمي القائم على التخطيط الصحيح، فسيكون هذا العقل بنّاءً وذا انطلاقة صحيحة في التوجيه الفكري والعقدي القائم على الإرادة الحرّة التي يتبنّاها كلّ عقل فردي من أفراد العقل الجمعي، وبالتالي يمكن أن يكون سندًا ومعينًا ليصحّح التوجّه الفكري والعقدي للأمّة وأفرادها، ومن هنا يمكن القول إنّ العقل الجمعي الشعوري والواعي هو أفضل من العقل الجمعي اللاشعوري واللاواعي. نعم، يمكن أن يكون العقل الجمعي اللاشعوري نافعًا ومفيدًا فيما لو كان في مصافّ أهل الحقّ ومؤيّدًا لفكرهم وتوجّههم، وإن لم يكن بإرادته من باب "حشرٌ مع الناس عيدٌ"، وهذا الأمر كما يكون مع الجانب الإيجابي من الاختيار كذلك يمكن أن يكون الميل إلى الجانب السلبي.

ثانيًا: العقل الجمعي الحاكم (السلطوي) والعقل الجمعي للنخب (النخبوي) والعقل الجمعي الجماهيري (الشعبوي)

تتفاوت المجتمعات في تركيبة أفرادها سواءٌ في الجانب الفكري أو الاجتماعي أو غيرهما وهذا التفاوت يستلزم ظهور مجموعات من الأفراد تتحرّك في نطاق معيّن خصوصًا في حراكات المجتمع؛ لذا تتشكّل جماعات تمثّل كلّ جماعة مجالًا معيّنًا وتحمل فكرًا خاصًّا لتشكّل بذلك عقلًا جمعيًّا يستقطب أتباعه ويحصّن نفسه أمام العقول الأخرى، فنرى مثلًا في الجانب السلطوي الحاكم هنالك من المؤيّدين الذين يرتضون بإفعال هذه الطبقة ويحيطون بها ويدافعون عنها، إمّا إيمانًا بفكر هذه الطبقة، وإمّا لمصلحة تقتضي الوقوف معهم كالانتفاع المادّي، فهم بجانبهم ما دام النفع المادّي موجودًا، وإلّا انفضّوا عنهم، فاجتماع هؤلاء إذن خاضع للمصالح؛ ولذا فمن الممكن تشكيل عقلٍ جمعيٍّ يدافع دفاعًا مستميتًا عن الجهاز الحاكم في البلد، ويحمل أفكاره ويؤيّده في كلّ شيء، سواءٌ على نحو الإيجاب أو السلب، فهؤلاء بموقفهم هذا وطاعتهم يشكّلون عقلًا جمعيًّا حاكمًا أو سلطويًّا، وهذا العقل كما يكون طالحًا وفاسدًا يمكن أن يكون صالحًا ومؤمنًا، فهو تابع لهرم السلطة الحاكمة؛ لأنّ "الناس على دين ملوكهم" ولهذا فجماعة هذا العقل يرون ما يرى الحاكم ويعتقدون ما يعتقد.

وفي مقابل هذه الجماعة وهذا العقل تظهر فئة من نخب أبناء المجتمع تتقارب أفكارهم وآراؤهم ويحملون عقولًا منظّمةً، وواعيةً ومبدعةً، و تتبنّى أفكارًا عمليةً قيّمةً؛ لتنظّم مجالات العمل والنهوض الفكري والعقدي والتصدّي للانحراف والوصول بالأمّة إلى برّ الأمان وتحصيل الكمالات لها؛ لتكون قادرةً على المسير الناجح في قيادة نفسها بنفسها، وهؤلاء هم خيرة أبناء الأمّة، وقد ذكر القرآن الكريم هذه الفئة وأمر بتشكيلها في ضمن آياته، فقد قال تعالى: ﴿**وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنْ الْمُنْكَرِ وَأُوْلَئِكَ هُمْ الْمُفْلِحُونَ**﴾ [سورة آل عمران: 104] ليتشكّل من خلال هذه المجموعة العقل الجمعي النخبوي الذي

يساعد في بناء القاعدة الفكرية والعقدية للأمّة و توجيهها للصواب، وكذلك سيقوم بتنظيم العقل الفردي بما يُصلحه ليكون سندًا في بناء العقل الجمعي النخبوي الذي يؤهّله لقيادة الأمّة في المجال التنفيذي أو التشريعي، فكلّ ذلك يمكن أن يقع على عاتق هذه النخبة، ولا إشكال في أنّ هذا العقل الجمعي يعدّ أفضل من سابقه؛ لأنّه يضمّ خيرة أبناء الأمّة من أصحاب العقول المتكاملة أو شبهها، وبما أنّ هاتين المجموعتين أو العقلين لا يمكن لهما استيعاب جميع أفراد المجتمع، فكلٌّ منهما يأخذ نصيبه منهم، ويبقى الكمّ الهائل من الناس لا ينتمون لأيٍّ من الجماعتين المتقدّمتين، فهؤلاء يمكن أن يكونوا إحدى الفئات الثلاث أدناه:

أ- أن يشكّلوا عقلًا جمعيًّا جماهيريًّا مستقلًّا.

ب- أن يميلوا مع أحد الطرفين (العقلين) المتقدّمين على نحو التأييد.

جـ- أن يعملوا مع طرف ثالث خارجي.

ولذا فالعقل الجمعي الجماهيري أو الشعبوي بحدّ ذاته يمثّل مكمن الخطر، لأنّ أتباعه يرجّحون كفّة الجهة التي يؤيّدونها لكثرتهم، وقد وصف أمير المؤمنين عليه السلام في بعض أقواله خطورة غالبيّتهم؛ لجهلهم وقلّة المعرفة عندهم، فعبّر عنهم تارةً بـ"الهمج الرعاع" كما في قوله عليه السلام: «الناس ثلاثة: فعالم ربّاني ومتعلّم على سبيل نجاة، وهمج رعاع أتباع كلّ ناعق، يميلون مع كلّ ريح، لم يستضيئوا بنور العلم، ولم يلجؤوا إلى ركن وثيق» [نهج البلاغة، الحكمة 147]. وهذا التقسيم الثلاثي الذي ذكره أمير المؤمنين عليه السلام يتطابق تمام التطابق مع تقسيم العقل الجمعي، فعبّر بـ"عالم ربّاني" إشارةً إلى القيادة والحاكمية التي بيد العلماء، وذكر القسم الثاني بقوله: "متعلّم على سبيل نجاة" وهؤلاء يمثّلون النخبة المؤمنة من الأمّة، بينما وصف القسم الثالث بـ"الهمج الرعاع" إشارة إلى البقيّة من الناس الذين يمثّلون العقل الجمعي الشعبوي الجماهيري الخالي من العلم والمعرفة (أي أنّ غالبيتهم من الجهلة وضعفاء العقول؛ لكونهم من العطلة وأصحاب المهن البسيطة). وتارةً أخرى ذكر عليه السلام هؤلاء من خلال تمييزهم ببعض الصفات كما في الحديث الذي بيّن فيه "صفة الغوغاء" قائلًا: «هم الذين إذا اجتمعوا غلبوا، وإذا تفرّقوا لم يعرفوا. وقيل: بل ما قال عليه السلام: هم الذين إذا اجتمعوا ضرّوا، وإذا تفرّقوا نفعوا! فقيل قد عرفنا مضرّة اجتماعهم فما منفعة افتراقهم؟ فقال: يرجع أصحاب المهن إلى مهنتهم فينتفع الناس بهم، كرجوع البنّاء إلى بنائه، والنسّاج إلى منسجه، والخبّاز إلى مخبزه» [نهج البلاغة، الحكمة 199]. ويمكن القول أيضًا: «لا يزال الناس بخير ما تفاضلوا، فإذا تساوَوْا هَلكُوا. وقيل إنّ معناه أنّهم إنّما يتَساوَوْن إذا رَضُوا بالنَّقْص وتركوا التَّنَافُس في طلَب الفضائل ودَرْك المَعَالي، وقد يكون ذلك خاصًّا في الجهل؛ وذلك أنّ النَّاس لا يتساوَوْن في العلم، وإنّما يتساوَوْن إذا كانوا كلّهم جهّالًا، وقيل أراد بالتساوي التحزُّبَ والتَّفرُّقَ وألّا يَجْتَمِعوا على إمام ويدَّعي

كُلُّ واحـد الحـقَّ لنفسـه فينْفَرد برأيه» [ابـن الأثير، النهايـة في غريـب الحديـث والأثـر، ج 2، ص 427]. لذا فمن الممكن أن يتحـوّل هـؤلاء النـاس ـ وهـم كمٌّ هائلٌ مـن الأفـراد ـ إلى ظاهرة قطيـع يتّبعون الغير مـن دون وعي ولا فكـر؛ لأنّهـم مـن ضعفـاء العقـول، وقـد غلبهـم الجهـل، فهم لم يسـتنيروا بعلـم ولم يلجـؤوا إلى ركـن وثيـق، فهـم يسـايرون الـرأي العـام في المجتمع الذي يكـون أحد الأسـباب في حصوله وتشـكيله هـو الإعلام، ومـا نـراه اليوم هو أنّ الإعـلام بيد السـلطة الحاكمة أو بيـد الأعداء الذيـن يعملون بكلّ جـدٍّ لتكويـن هـذا الـرأي العـامّ والسـيطرة على عقـول النـاس وتجميعهـا في عقـل جمعي واحد يسـهل إدارتـه والتعامـل معـه في أيّ وقـت يريـدون؛ ولذلـك مـن غير الصحيـح التجمّـع مع هـؤلاء والوقوف معهـم خصوصًـا في جانبهـم السـلبي؛ لذا ينبغي «تجنـب التجمّع والغوغاء، فـإنّ الغوغاء لا شـعور لها ولا فكـر، وكثـيرًا مـا تُميت الحقّ وتحيي الباطـل» [الطباطبائي، الميـزان في تفسـير القـرآن، ج 16، ص 394]. ولهذا قلنا إنّ هـذا العقـل الجمـعي اللاواعي يشـكّل خطـرًا كبـيرًا على جميع الأصعـدة، وقد شـبّه هذا العقـل الجمعي بظاهـرة القطيـع التي تسـير بـلا وعي ولا فكر.

المبحث الثالث: عوامل نشوء العقل الجمعي الواعي واللاواعي (القطيع)

تمثّـل انطلاقـة الشـعوب نحـو التكامـل هدفًـا سـاميًا تسـعى له الأمـم مهمـا وصلـت أو تدنّـت في الـرقيّ؛ لذا تتقـارب الأفـكار والآراء نحو تشـكيل تجمّعات إنسـانية، كلّ تجمع يسـعى إلى تحقيق الهدف الذي يريـد تحقيقـه مـن خـلال منهجيتـه الـتي يـرى أنّهـا هي المنهجيـة الصحيحـة الـتي توصله إلى ذلـك الهـدف؛ ولذلـك تختلف المقدّمـات والعوامل في نشـوء كلّ تجمّع، وهـذه العوامـل جميعها تقرّب الكثـير مـن عقول النـاس إلى بعضها في التجمّعات لتشـكّل عقـلًا جمعيًّا، سـواءٌ كان على نحو الإيجاب أو السـلب، ثـمّ إنّ قـوّة العقـل الجمـعي وسـطوته بقسـميه تابعـة إلى الهدف المـراد تحقيقـه والعوامل الـتي نشـأ منهـا؛ لذا فهـو يختلف مـن جماعة إلى أخـرى ومن مـكان وزمـان إلى آخر، وكذلـك الآثار المترتّبـة على كلّ حركـة مـن حـركات جماعـة تلـك العقـول الجمعيـة ـ وهذا مـا سـنتناوله في المباحث الآتيـة ـ وهنـا لا بـدّ مـن الوقـوف على العوامـل التي مـن خلالها ينشـأ العقـل الجمعي بكلا قسـميه الـواعي واللاواعي:

أوّلًا: عوامل نشوء العقل الجمعي الواعي

لا يختلـف اثنان في أنّ كلّ إنسـان يسـعى ـ بحسـب ما يراه ـ نحـو التكامل وبناء الشـخصية الراقية والمثاليـة في نظـره، فـكلّ مقوّمـات النهـوض بالواقع الشـخصي للأفـراد موجـودة، إلّا أنّ هنالك بعض المعوّقـات الـتي قـد تتدخّـل في منـع وصـول بعضهـم إلى مراحـل الكمـال وإن سـعوا إليـه، فالمقتضى

في الـرقيّ والتكامـل عنـد الإنسـان موجـود ـ كمـا يقولـون ـ ولكنّ المانـع أيضًـا موجود، وهـو ما يحدّ مـن حركـة الإنسـان وتدرّجـه الصعـودي، إلّا أنّ هـذا لا يوقـف الإنسـان من أجـل تحقيـق أهدافه، بـل انطلاقتـه توجـب وصـوله إلى مبتغـاه، ومـن الواضـح أنّ هذا مـن مقوّمـات التكامل الشـخصي، ولكـن لـو أردنـا أن نؤسّـس للتكامل الجمـعي والوصـول إلى العقل الجمـعي النخبوي فالأمـر لا يختلف كثيرًا، خصوصًـا إذا كان هـذا العقـل الجمـعي هو عبـارة عن تجميع عقـول الناس على وفـق الوحدة في الأهـداف والغايـات وفي ضـوء المنهـج البرهـاني والتحليلي الذي يتمتّـع به كلّ فرد مـن النخب، ولكن يبـقى الـكلام في أنّـه كيـف يمكننـا أن ننشـئ عقلًا جمعيًّـا نخبويًّـا واعيًا، ومـا العوامل الـتي تدخل في تكوينه؟

1ـ البناء الفكري القائم على الدليل والبرهان

يعـدّ البنـاء الفكـري للفـرد القائـم على الحجّـة والبرهـان مـن العنـاصر الأساسـية في تصحيـح المسـار التكامـلي للأمّـة والذي يضمـن اتّخاذ القـرارات الصائبـة والمسـتندة إلى الدلائـل القويّة، فهو تقييـم المعلومـات المتاحـة، ويسـاعد في تحديـد قوّة هـذه الأفـكار والمعلومـات وصحّتهـا، وبالتالي يمكـن توضيـح النتائـج الحاصلـة للآخريـن وإقناعهـم بـالآراء والمواقـف المؤدّيـة إلى صحّـة الأدلّة الـتي نعتمـد عليهـا وقوّتها، ومـن خلالهـا يمكن أن نصـل إلى تحقيق الأهـداف والغايـات؛ لنضمن بذلـك القـوّة في إقنـاع الآخريـن مـن جهـة ومـن جهـة أخـرى تعزيـز جانـب الوثـوق في العنـاصر الفكريـة المعروضـة، فالقـوّة الفكريـة حقيقـة موضوعيـة تتجـلّى فيهـا رفعـة الإنسـان الواقعيـة والمؤثّـرة على جميـع مرافـق الحيـاة البشريـة، والـتي تعالـج في الوقـت نفسـه جميـع مشـاكل العقـل الجمـعي وسـلوك أفـراده لتؤسّـس عقـلًا جمعيًّـا نخبويًّـا قائمًا على البنـاء الفكـري الصحيـح، والذي يتوافـق مـع الفكـر الديـني القويـم والمسـتند إلى الجوانـب العمليـة؛ لأنّ الأمّـة كلّمـا ارتفعـت بفكرهـا عـن واقـع التنظـير المجـرّد، وتوجّهـت نحـو المعالجـة العمليـة لأسـباب انحطاطهـا، كانـت أكـثر قـدرةً على التأثـير في الأفـراد واجتذابهـم وربطهـم بالأفـكار الصحيحـة المتمثّلـة بالإسـلام القويـم، بوصفهـا معالجـاتٍ دائمـةً تسـتطيع النخـب أن تتحـرّك في ضوئهـا لجمـع العقـول المتوافقة في النتائـج والأهـداف، فأصحـاب العقـول يجتمعون فيما لـو توحّـدت أهدافهم وتوافقـت آراؤهم، فهـم يتميّزون بفهـم وفكـر واعيـين يتوحّـد مـن خلالهمـا الإدراك والشـعور، فيتّصفـون بعقليـة التفكـير العميـق الذي يخضـع للبرهـان والتحليـل ليشـكّل عامـلًا قويًّـا وأساسـيًّا في حصـول العقل الجمـعي النخبـوي الواعي.

2ـ التربية الصالحة والتعليم الصحيح

تمثّل التربية الصالحة في تنشأة أبناء المجتمع ـ سواء التربية الأخلاقية أو الفكرية ـ ركنًا مميّزًا لتصحيح مسيرة الشخص في هذه الحياة؛ إذ يمثّل الخلق الحسن والبناء الفكري والعقدي السليم انطلاقةً صحيحةً في توحيد أبناء هذه الأمّة من خلال الانسجام التامّ في التعامل مع الغير في جميع القضايا الفكرية والأخلاقية؛ لذلك تجد المجتمع الذي تسوده هاتين الصفتين يتكامل ويرتقي في جميع المراتب، فإذا أضفنا التربية الصالحة إلى التعليم الصحيح فإنّ أغلب المشاكل ـ إن لم نقل كلّها ـ ستختفي من الأمّة؛ لأنّ الشخص الذي يتميّز بهاتين الصفتين سوف يتمتّع بالقدرة الكبيرة في التعاطي مع القضايا المختلفة بفاعلية كبيرة وبتركيز ذهني واسع؛ إذ تنشأ من خلالهما فرصة سانحة لاكتساب المعارف بطرق عديدة، وقد ساعدت التقنية الحديثة في الانفتاح على العالم الخارجي، وتحصيل العلوم والمعارف المختلفة؛ حتّى تمكن الفرد من تطوير مداركه وتوسيعها، فأصبحت الأخلاق والتعليم عاملين رئيسيين في اكتساب الأشخاص مهارات التفكير والنقد والسلوك، وأنّ العلم الممزوج بالأخلاق الحسنة يساعد في تعزيز ثقة الإنسان بنفسه ويؤمن بقدرته، فيصبح منفتحًا للحوار مع الآخرين فيشاركهم بآرائه ومعارفه ليساهم في انتشار العلم بين جميع فئات المجتمع، وبالتالي يمكن تحوّل المجتمع من كونه بدائيًّا إلى مجتمع حضاري قائم على التحلّي بالمعارف والعلوم ليصبح أكثر حكمةً وتميّزًا، ممّا يؤثّر في وصول المجتمع إلى الرقيّ والتقليل من نسبة الجهل والسفاهة وقلّة الوعي إلى درجة كبيرة، وبالتالي يخلو المجتمع من أسباب المشاكل المستند أغلبها إلى الجهل والخلاف الفكري ليبدأ التحرّك نحو تحسين قيم المواطنة والإدراك عند الناس، وهذا يتناسب طرديًّا مع مستوى التعليم والبناء الخلقي وكيفيتهما، فيصبح الفرد على معرفة تامّة في كيفية بناء مجتمع أفضل؛ ليساهم في ارتقاء القيم الصالحة التي تنمو مع نموّ الوعي عند أبناء الأمّة، والمؤدّية إلى رفع مستوى الإدراك الكامل عندهم لجميع الأحداث المحيطة، سواء الداخلية منها أو الخارجية بصورة أفضل؛ ليصبح لدينا مجموعة كبيرة من النخب التي تمتلك رصيدًا علميًّا وأخلاقيًّا لتقوم بدورها في حماية المجتمع وقيادته، ومن خلال هذه النخب يمكن تأسيس عقل جمعي نخبوي قادر على إدارة الأمور، وتأسيس مجتمع تكاملي واعٍ، فالتربية والتعليم ركنان أساسيان في تكوين العقل الجمعي النخبوي، وهنالك عوامل أخرى تساعد في نشوء العقل الجمعي الواعي، ولكن اكتفينا بما ذكرناه حرصًا على الاختصار.

ثانيًا: عوامل نشوء العقل الجمعي اللاواعي

1ـ العادات والتقاليد الاجتماعية

ساهمت العادات والتقاليد ـ وهي الموروث الاجتماعي القيمي المتراكم عبر مئات السنين والمؤثّر في ثقافة المجتمع ـ في تشكيل ثقافات وسلوكيات عند الناس، توجّههم إلى معتقدات وأفكار موروثة قد تشكّل في بعض الأحيان عائقًا أمام تكاملهم، فمع كون بعضها ينافي مقرّرات الدين إلّا أنّ الناس يحشرونها في الدين ليجعلوها جزءًا منه، مع التشدّد في التمسّك بها، فأصبحت تفرض سيطرتها على عقول الأفراد والجماعات لتبني سلوكياتٍ داخل المجتمع، فيصبح الإنسان سجين هذه العادات، وهذا الأمر نراه في الكثير من مجتمعاتنا؛ لذلك كانت العادات والتقاليد السلبية قد تجاوزت الحدود وامتزجت بالطقوس والطباع الثقافية والفكرية والعرفية؛ لتصل إلى قناعاتٍ ورؤًى عند الأفراد لا يمكن تغييرها؛ لأنّها أصبحت ذات قيمة في المجتمع وجزءًا لا يتجزّأ من هوية أبنائه وشخصيتهم، وشكّلت حالاته الفكرية والنفسية والاجتماعية، فأصبح الفرد في ضوء قناعاته بها متسامحًا أو عدوانيًّا، وقد تمتزج في مداخل الحياة لتصبح الحياة من خلالها أفضل أو تتحوّل إلى الأسوإ؛ لأنّ هذه العادات والتقاليد أصبحت قواعد راسخةً في الكثير من مجتمعاتنا، إلى درجة أنّ من يخالفها قد يتعرّض للّوم أو الحساب والعقاب المجتمعي بحُجّة خروجه عمّا هو متعارف عليه كموروث يجب عدم المساس به، فلا يجرؤ أيّ إنسان على تغيير شيء من عادات مجتمعه التي وصلت إلى درجة التقديس، ولا يقبل مخالفتها، بل على الجميع اتّباعها؛ ولهذا تكون بعض العادات عائقًا أمام التفكير والطموح، سواء الفردي أو الجمعي «فهذه العادات والتقاليد تسيطر على الإنسان من الخارج، ومن ثم فإنّ سيطرة كلٍّ من هذين الأمرين ـ العادات الوراثية والتقاليد الاجتماعية ـ تختلف في واقع الأمر أشدّ اختلاف عن سيطرة الآخر» [دوركايم، قواعد المنهج في علم الاجتماع، ص 44]. فأصبح المؤيّدون لتفعيل العادات والتقاليد في المجتمع كثيرين؛ ليشكّل ذلك عاملًا أساسيًّا في تكوين العقل الجمعي اللاواعي ليرتبط الفرد بها ارتباطًا وثيقًا ويدافع عنها ولا يسمح بمخالفتها، حتّى وإن كانت غير صحيحة ومخالفةً للدين الحنيف.

2ـ التربية المجتمعية

يمثّل الفرد الجزء الأهمّ في المجتمع، فيتأثّر ويؤثّر في المسيرة المجتمعية، فهو يشكّل الركن الأساس في تكوين البيئة المجتمعية؛ ولهذا فهو ينشأ في ظلّ هذه البيئة بمختلف ألوانها وتنوّع بناها، فيعايش قيمها وقوانينها ويتأثّر بعاداتها، ويساير جميع تعقيداتها ومشكلاتها وما تحتويه من الاختلافات

والتناقضـات في الأفكار والمفاهيم، وفي ضوء هذه التعقيدات تتشـكّل التكتّـلات والتوجّهات في المجتمع، وقـد تصبـح الشراكـة بين تلـك الجماعات أمـرًا غير ممكـن؛ لأنّ كلًّا منهـا إنّمـا تتّبـع الدور الذي يؤدّيه في المجتمـع، سـواءٌ كان سـلبًا أو إيجابًـا، وبالتـالي سـيؤثّر في بناء شـخصية الفـرد في ضمن هـذه الجماعة أو تلـك، وكذلـك التأثـير فيهـا، لتصبـح عمليـة بنـاء هوية الفـرد في بُعدهـا الاجتمـاعي من أهـمّ ألوان التربيـة حسّاسـيةً وخطـورةً؛ لأنّ التربية المجتمعيـة ما هي إلّا حصيلة مـا يجنيه الفرد مـن التعلّم بمجرّد اسـتقراره في بيئـة معيّنـة، وفي مجتمـع معـيّن، وزمـان معـيّن، ومـا يكتسـبه الفـرد مـن ألـوان التفكير والفعـل والسـلوك، صحيحًـا كان أو خطـأً، ومـن ثمّ تبـنى المعايير وتتّخـذ المواقف؛ ولهذا نجـد أنّ تربية الفـرد إمّـا أن تتوافـق مـع التربيـة المجتمعية وتنخـرط في توجهاتها أو تكـون على خلاف معهـا وقطيعة؛ لأنّ التربيـة التوافقيـة هي «العمليـة التي تتشـكّل مـن خلالها معايـير الفـرد ومهاراته ودوافعـه واتّجاهاته وسـلوكه ... لـكي تتوافـق وتتّفق مع تلـك التي يعتبرهـا المجتمع مرغوبةً ومستحسـنةً» [العيسـوي، سـيكولوجية التنشـئة الاجتماعيـة، ص 209]، بينمـا نجـد أنّ التربيـة غـير التوافقيـة بين الفـرد والمجتمع هي الـتي لا تنتمي إلى المجتمـع فيحصـل الاختلاف بـين الطرفين، وبالتـالي سـيكون تأثيرها سـلبيًّا عليهما، وسـيؤثّر ذلك في المسـيرة التكاملية لكلٍّ منهما، وهذا ما سـيؤدّي إلى تشـكيل جمـاعات تختلف في توجّههـا وفي أفكارها، بل وحـتّى في ثقافتهـا؛ لتتلاقـح أفكار كلّ فـردٍ مع غيره مـن أفراد المجموعة؛ لتشـكّل عقلًا جمعيًّـا قد يتوافق مـع التربيـة المجتمعيـة السـائدة في الأمّـة أو يختلف معها، فهـذه التربيـة المفروضة على الفـرد من خلال دخـوله مـع الجماعـة تصبـح ذات تأثير كبـير في رسـم خارطة مسـيرته في الجوانـب الفكريـة والثقافية؛ ولهـذا عـدّت التربيـة المجتمعيـة عامـلًا مهمًّا في تشـكيل العقل الجمـعي اللاواعي الذي يسـير أفـراده في مركـب واحد والـكلّ يكون فيـه تابعًا.

3ـ النفسية المهزومة

يعيـش الإنسـان في المجتمـع وهو يبني مسـتقبله مـن خلال مسـيرته الحياتية مع بـاقي الأفراد ليضع اللبنـات الأساسـية للتكامـل والرفاهيـة في الأمّـة؛ ليكون عنـصرًا فعّالًا ومؤثّـرًا في مسـتقبلها، ولكن هنـاك بعـض أفراد المجتمـع ممّن يشـعر بالاحتقار والانهـزام النفسي ممّـا يجعلهم يشـكّلون عبئًا كبيرًا على المجتمـع، وهـذا الانهـزام النفـسي سـببه إمّا التربيـة الأسريـة مـن أولى بداياتهـا أو المجتمع الذي قـد يكـون قاسـيًا في بعـض الأوقـات على الفـرد؛ لـيزرع في نفسـيته حالـة الاحتقـار والانهـزام، وقد أمرنـا القـرآن الكريـم والرسـول الأكـرم أن لا نصبـح سـببًا في تكويـن النفسـية الانهزامية للإنسـان المسـلم، فقـد قـال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْـخَرْ قَـوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَـسَى أَنْ يَكُونُوا خَـيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَـاءٌ مِـنْ نِسَـاءٍ عَـسَى أَنْ يَكُنَّ خَـيْرًا مِنْهُنَّ وَلَا تَلْمِـزُوا أَنْفُسَـكُمْ وَلَا تَنَابَـزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْـمُ**

الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ﴾ [سورة الحجرات: 11]. وعن النبيّ الأكرم ﷺ قال: «المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقّره، حسب امرئٍ من الشرّ أن يحقر أخاه المسلم» [ابن حنبل، مسند أحمد، ج 2، ص 311]. وأمّا القرآن الكريم فقد كانت كلمته فصلًا؛ إذ نهى عن السخرية من الناس والاستهزاء بهم والتنابز بألقاب الاحتقار ولمز الناس بالعيوب، وهو ما يعرف اليوم بـ"حالة التنمّر". وعلى كلّ حال إذا أردنا تقييم الشخصية الانهزامية فإنّنا نجدها ضعيفةً سلبيةً متشائمةً، وحياة صاحبها عبارة عن مجموعة من الأخطاء، وكثيرًا ما يكون محبطًا وكسولًا ومتردّدًا، فهو ينحني أمام أضعف المشكلات، ولو دقّقنا أكثر في هذه الشخصية لوجدناها اتّكاليةً ومهملةً تنتظر من الآخرين التصدّي للأعمال؛ لأنّها مسلوبة الإرادة ويعيش صاحبها في ضياع، فهي شخصية متّصفة بكلّ الصفات السلبية؛ لذلك فهي:

أ- غير قادرة على تحمل المسؤولية والنهوض بالمهامّ، فتكون تابعةً لغيرها؛ لأنّ كلّ شخصية تكون مسلوبة الأرادة وليس لها ثقة بنفسها لا يمكن لها أن تنهض بالمسؤولية الملقاة على عاتقها وتفشل في أيّ مهمّة تناط بها، فهي غير قادرة على تخطّي الصعاب أو تحمّل المشاق؛ لأنّها تعيش الهزيمة في داخلها، فهي تخشى المواجهة، ولا تقبل التحدّي خوفًا من الهزيمة.

ب- شعورها بالنقص والاحتقار المستمرّ؛ لكونها شخصيةً فاشلةً في المجتمع لا دور لها في أيّ بناء تكاملي، وهذا الفشل أثّر فيها سلبًا، فجعلها شخصيةً ضعيفة الهمّة مضطربةً نفسيًّا، ولا تعدّ عضوًا فعّالًا في تكامل المجتمع. ولسذاجة فكر صاحبها وثقافته تجده في أكثر الأحيان - إن لم نقل كلّها - يقع في الخطإ والزلل، ولا يوزن الأمور بموازينها، ويؤسّس رأيه على أبسط الاحتمالات.

ج- التمحور مع المهزومين والتحرّك معهم في أيّ مهمّة يريدون القيام بها، فتوجّهات الشخص تتأثّر بالجلساء والرفقاء، فإذا كان جلساء الشخص ورفقاؤه منهزمين مثله فسيشكّلون عقلًا جمعيًّا، يديرهم الجهل وتتحكم بهم الأهواء، وقد حذّرنا الشارع المقدّس من مجالسة مثل هؤلاء ومصاحبتهم، فعن أبي عبد الله عليه السلام أنّه قال: «لاتصحبوا أهل البدع ولاتجالسوهم فتصيروا عند الناس كواحد منهم، قال رسول الله ﷺ: المرء على دين خليله وقرينه» [الكليني، الكافي، ج 2، ص 375، الحديث: 3]. وعن أمير المؤمنين عليٍّ عليه السلام قال: «لا عليك أن تصحب ذا العقل وإن لم تحمد كرمه، ولكن انتفع بعقله، واحترس من سيّئ أخلاقه، ولا تدعنّ صحبة الكريم وإن لم تنتفع بعقله، ولكن انتفع بكرمه بعقلك، وافرر كلّ الفرار من اللئيم الأحمق» [المصدر السابق، ص 638، الحديث: 1].

دـ الاستسلام وعدم التضحية في سبيل الأهداف السامية، وقد مثّل القرآن الكريم هذه الصورة في قوله تعالى: ﴿**قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ**﴾ [سورة المائدة: 24]؛ لأنّ الانهزامي لا هدف نبيلًا له في هذه الحياة ليضحّي من أجله، بل يريد العيش في هذه الدنيا والطلب لحطامها بأيّ كيفية كانت، حتّى مع الذلّ والاحتقار والتزلّف؛ لينال من فتات الدنيا ما يسيّر به حياته، مع أنّ «حب الدنيا رأس كلّ خطيئة» [المصدر المتقدّم، ص 317، الحديث 8]. فكلّ هذا سيدفع هذه الشخصيات الانهزامية لتتجاذب مع بعضها البعض لتشكّل عقلًا جمعيًّا لأنّ الطيور على أشكالها تقع، فيكون الانهزام النفسي عاملًا في تكوين العقل الجمعي اللاواعي.

4ـ الإعلام الموجّه

تشكّل وسائل الإعلام ـ المقروءة منها أو المسموعة أو المرئية أو وسائل التواصل الاجتماعي المختلفة كالفيسبوك والتويتر والإنستغرام وغيرها من الوسائل الأكثر شهرةً في العالم ـ عاملًا مؤثّرًا في تشكيل البناء الفكري والمعرفي وتأسيس رؤية للفرد أو المجتمع تجاه القضايا الكونية أو الأيديولوجية، وهذا بحد ذاته قد يساعد الأشخاص في قدرتهم على التحليل والتفكير لاتّخاذ السلوك المناسب حول القضايا المهمّة، وفي الوقت نفسه لها القدرة على تغيير سلوك وأنماط المجتمع الثقافية والاجتماعية، سواءً على نحو الإيجاب أوالسلب؛ لأنّ تأثيرها في الكثير من الأحيان يكون قويًّا جدًّا، وهذا في الحقيقة يتوقّف على مدى رغبة الفرد المتلقّي في إشباع تطلّعاته بما يتّفق مع أفكاره وتوجّهاته، وهذا الأمر سيجعل من الأجهزة الإعلامية أداةً لبثّ كلّ ما من شأنه أن يحشّد الرأي العامّ لصالح القضايا التي يتبنّاها النظام الإعلامي المسيطر عليه من قبل أصحاب النفوذ في المجتمع، ويكون دائمًا موجّهًا نحو وجهة نظر واحدة، وهذا ما يسبّب في انعدام المصداقية لما تنشره هذه الوسائل، والغرض من ذلك هو أوّلًا السيطرة على فكر الجماهير وثقافتهم وفرض النفوذ عليهم وتغيير قناعاتهم، وثانيًا توجيه الجماهير في تحركاتهم نحو الأهداف المرسومة، وثالثًا الترويج للمصالح العامّة والخاصّة للفئات المسيطرة في المجتمع، ورابعًا إشغال الناس وحرفهم عن الحقيقة، وهذا ما سبّب في:

أ ـ التدهور الكبير في المستوى الفكري والثقافي لأبناء المجتمع والتحكم بأنماط التفكير عندهم.

بـ الفوضى العارمة التي تصيب المجتمع وإشاعة الانقسام بين أفراده وانتهاك القوانين المسنونة.

جـ ـ الانهيار الكبير والواسع للأسس الأخلاقية عند أفراد المجتمع وزرع أخلاق جديدة بديلة.

دـ السيطرة على عقول الناس وغسل أدمغتهم وإشغالها بما يبعدها عن مجالات الإبداع والابتكار على جميع المستويات. ومن هنا يصحّ القول إنّ وسائل الإعلام بكلّ مسمّياتها يمكن أن تصبح عاملًا فاعلًا في تأسيس العقل الجمعي اللاواعي الذي يتحرّك على وفق ما يريده ويتبنّاه أصحابها، وهذا ما لمسناه في الكثير من البلدان التي تحرّكت جماهيرها على وفق متبنّيات من يدير وسائل الإعلام ومواقع التواصل الاجتماعي. وفي ضوء كلّ ما ذكرناه يمكن القول إنّ كلّ هذه العوامل سوف تؤسّس العقل الجمعي اللاواعي الذي يجمع الغالبية العظمى من أفراد المجتمع، وتكون في صفّ واحد، وتتبنّى منهجيةً تنقاد من خلالها في أيّ مرحلة لتحقيق الأهداف التي رسمت من قبل المسيطرين على حركة هذا الكمّ الهائل من الأفراد عبر غرس العقيدة والفكر في عقولهم؛ ليصبح هؤلاء الناس أداةً للتغيير إلى إحدى الحالتين الأحسن أو الأسوإ. وبهذا نكون قد ذكرنا بعض العوامل المساعدة في نشوء العقل الجمعي اللاواعي، وإن كان هنالك عوامل أخرى يمكن أن تساعد في نشوئه، ولكنّنا اكتفينا بما ذكرناه.

المبحث الرابع:

الطرق الممكنة في معالجة نشوء العقل الجمعي اللاواعي وفنّ إدارته

تختلف الآراء حول إمكانية التحكم بالعقل الجمعي اللاواعي ـ الذي يعدّ من أخطر أنواع العقول الجمعية، بل هو الأخطر على الإطلاق خصوصًا في الجوانب الفكرية والعقدية التي تمثّل الانطلاقة الرئيسة نحو التكامل والرقيّ ـ أو عدم إمكان ذلك لكثرة أعداد التابعين له من السواد الأعظم في المجتمع؛ لأنّ السيطرة عليه وعلى تحرّكاته تكون في غاية الصعوبة، وهذا الكلام وإن كان في النظرة الأوّلية صحيحًا، ولكن لو دقّقنا في تفاصيل العقل الجمعي، فإنّه يمكن القول إنّ هذه النظرة غير تامّة؛ إذ إنّه من الممكن التحكم بهذا العقل سلبًا أو إيجابًا على نحو القريب أم البعيد من خلال عاملين أساسيين هما:

أوّلًا: طرق مواجهة عوامل نشوء العقل الجمعي اللاواعي

من الممكن السيطرة على العقل الجمعي اللاواعي من خلال مواجهة عوامل نشوئه ـ فعوامل النشوء التي ذكرناها سابقًا هي العادات والتقاليد الاجتماعية والتربية المجتمعية والنفسية المنهزمة، إضافةً إلى الإعلام الموجّه ـ والسيطرة عليها والتفاعل معها بإيجابية والتحكّم بها وتوجيهها نحو الأفضل، وبالتالي تغيير بوصلتها من كونها أداةً سلبيةً مضرّةً بالمجتمع إلى جعلها عاملًا إيجابيًّا يساعد في التكامل المجتمعي؛ لأنّ الإنسان موجود اجتماعي يتأثّر ويؤثّر في محيطه، ومن هنا لا بدّ من:

1ـ التفكير الجدّي في كيفية تغيير العادات والتقاليد الاجتماعية ـ ولو على النحو البعيد ـ أو على أقلّ التقادير كيفية نقل هذه العادات والتقاليد من الحالة السلبية إلى الحالة الإيجابية، ولو بالتركيز على العادات الإيجابية الموجودة ومحاربة العادات السلبية ـ للعلم أنّ العادات والتقاليد لم تكن وليدة اليوم، بل هي مسيرة أجيال مختلفة وعصور متمادية ـ والتعامل معها يحتاج إلى جهد مضاعف وقدرة على التحمّل؛ لأنّه من الممكن حصول معارضة شديدة جدًّا من قبل الناس الذين لا يرضون بتغيير هذه العادات والتقاليد، ولكن شيئًا فشيئًا وبالتدريج يمكن تحوّل الجماعة المعارضة للتغيير فيها إلى جمع مقتنع برفض السلبية منها، والتركيز على العادات والتقاليد الإيجابية، ومن ثمّ ضخّ عادات تتواءم مع مقرّرات الفكر الديني السليم.

2ـ التركيز على ترسيخ التربية المجتمعية الصالحة وعلاجها يقع بالأساس على عاتق نخب المجتمع من خلال إنشاء عقل جمعي نخبوي ينهض بهذه المهمّة يكون قائمًا على أصول النظر والتحليل الصحيحين ومعرفة مشاكل الأمّة واحتياجات الجماهير، والتوجّه نحو تكوين منظومة فكرية واسعة تتعامل على وفق الرؤية الواقعية المبنيّة على أسس عملية في التفاعل مع مختلف الأفكار الشائعة في الأوساط الاجتماعية، ومعالجة السلبيات من مخلفات العادات والتقاليد السائدة في المجتمع، وله القدرة والاستعداد على وضع المعالجات المناسبة لما يقتضيه الفكر الديني القائم على أساس الثقافة الإسلامية الصحيحة والمتوافقة مع قوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ**﴾ [سورة الحجرات: 13].

3ـ وضع الخطط الكفيلة بمعالجة الانهزام النفسي والتأكيد على ترسيخ عوامل الثقة بالنفس، وتشجيع الكفاءات التي تظهر في المجتمع، وتوفير المراكز المتعدّدة التي تهتمّ بمهارات الأفراد؛ لضمان عاملين أساسيين هما:

الأوّل: إشغال الجمع الشعبوي وتفرّقهم في هذه المراكز، والثاني: التدرّج في الارتقاء بهم ولو على المدى البعيد وزرع الثقة بنفوسهم بأنّهم أفراد ذوو قيمة في المجتمع، ويمكن أن ينتفع البلد بهم وبما يقومون به.

4ـ يعدّ الإعلام الموجّه أداةً فعّالةً بيد أعداء الأمم وخصوصًا الإسلامية منها، فهو الذي يحرّك الجماهير متى يشاء وكيف يشاء، وهو ما يسمّى بـ"العدوى الإعلامية (المعلوماتية)"، فإذا حاولنا السيطرة على هذه الأداة الفعّالة وإعمالها لصالح الجمع العقلي النخبوي، فيمكن أن ترجّح الكفّة لصالح النخب، أو على أقلّ تقدير تشكيل جماعات تتحرّك بواسطة شبكات التواصل الاجتماعي لإيصال صوت الحقّ لجميع أفراد الأمّة، بل والأمم الأخرى أيضًا، وتغطية هذه المواقع بالمعلومات

الـتي تسـاعد في بنـاء العقـل الجمعي الـواعي، وإحـداث نقلـة نوعيـة في فكـر المجتمع. وبذلـك نكون قـد عملنـا ولـو على النحو البعيـد في مواجهـة كلّ العوامل المسـاعدة في نشـوء العقل الجمـعي اللاواعي.

ثانيًا: فنّ إدارة العقل الجمعي اللاواعي وأساليب التحكّـم به

إذا لـم تكـن هنالـك القـدرة الكافيـة على مواجهـة عوامـل نشـوء العقل الجمـعي الـلاواعي، فعلى أقـلّ التقاديـر يجـب أن تكـون هنالـك القـدرة على إدارة هـذا العقـل والتحكـم في تصرّفاتـه، وذلك مـن خلال:

1ـ إيصـال الجماهـير إلى الشـعور بالواقـع الفكـري السـيّئ الذي تعيشـه الأمـم والتفكـير الجـدّي بحاجـة النـاس إلى قيـادة نخبوية مخلصـة وواعية ومدركـة للمخاطر المحيطـة بالمجتمع لتسـاعد في رفع تفكـير الفـرد مـن الضحالـة والانحدار في المسـتوى وضعـف الإحسـاس بالمسـؤولية، وسـيطرة الآراء والأفـكار السـاذجة والمتناقضـة، وذلك من خلال السـيطرة على مشـاعر الناس وعواطفهـم والعمل على رفـع مسـتوى الثقـة بالنفس عند الأشـخاص، ورفع المسـتوى الفكـري والثقافي وإيجاد سـلوك مجتمعي منسـجم مـع مقـرّرات الدين، وهـذه من مهـامّ العقل الجمـعي النخبوي ومسـؤولياته، فتكويـن العقل الجمـعي النخبوي أساسًـا ليتـولّى القيـادة الفكرية الصالحـة للأمّة، ومن ثـمّ ينبثق عنها نظـام قادر على وضـع الخطـط اللازمـة للعمـل الجـادّ والسـعي الحثيـث في توعيـة العقـل الجمعي الشـعبوي مـن خلال تفعيـل دور العقـل الفـردي بمـا يُصلحـه لبنـاء المجتمـع والارتقـاء به على مسـتوى السـلوك والإبداع العلـمي والعمـلي، وقـد أشـار القـرآن الكريـم إلى هـذا الأمـر بقـوله تعـالى: ﴿**وَلْتَكُـنْ مِنْكُـمْ أُمَّـةٌ يَدْعُـونَ إِلَى الْخَـيْرِ**﴾ [سـورة آل عمـران: 104].

2ـ العمـل الجـاد على تربيـة أجيـال متعاقبـة قائمـة على أسـاس التفكـير القويـم بإنسـانية الفـرد وحاجاتـه، فأجيـال الأمّـة مـوادّ خـامّ متجـدِّدة قابلـة للتغيـير النـوعي؛ إذ يمكـن لهـا أن تتأثّـر وتؤثّر في الواقـع البعيـد عـن العـادات والتقاليـد الموروثـة، ومـن خـلال ذلـك يمكـن التأهيـل لبنـاء عقـل جمـعي واعٍ يؤمـن بالتفكـير المعمّـق والتحليـل الجـادّ لكلّ القضايـا، والتوجّـه نحو بناء مسـتقبل مشرق يحمـل أسـس الإسـلام كانطلاقـة رئيسـة نحـو التكامـل والريـادة، والإكثـار مـن التجـارب المجتمعية الـتي تسـاعد في عمليـة التربية الجماعيـة «فالتجربة هي المربّيـة الأولى والأخيرة للشـعوب والقادرة على الكشـف عـن أخطائنـا، ووحدها قـادرة على إقناعنـا بـضرورة التغيير الإيجـابي نحو التكامـل، فالعمل الميـداني هـو وحـده القـادر على إعادة الشـباب إلى الحقـول والمصانع والـشركات» [انظر: لوبـون، سـيكولوجية الجماهـير، ص 109].

3ـ من الواضح أنّ العقل الجمعي اللاواعي يتأثّر بالعواطف كثيرًا فالمواقف التي مرّ بها هذا العقل والانقلابات التي حصلت له كانت مستندةً في الأساس وبصورة كبيرة إلى العواطف التي يحملها أفراد هذا العقل الجمعي وهذه نقطة ضعفه الرئيسة، فمن الممكن السيطرة على هذا العقل من خلال مناغمة العاطفة عند أفراده واستخدامها وسيلةً لإدارته؛ «لأنّ المبالغة في العاطفة مدعّمة من قبل الحقيقة التالية: بما أنّ هذه العاطفة تنتشر بسرعة عن طريق التحريض والعدوى، فإنّ الاستحسان والقبول الذي يتلقّاه يزيد من قوّتها إلى حدّ كبير ... وعنف عواطف الجماهير يزداد مبالغةً وتضخّمًا لدى الجماهير غير المتجانسة بسبب انعدام المسؤولية» [انظر: المصدر السابق، ص 74]. فإذا عملنا على الوصول إلى عواطف الجماهير والنفوذ إليها والسيطرة عليها يمكننا هنا أن ندير حركة هذا العقل الجمعي اللاواعي.

4ـ بما أنّ أغلب بلداننا الإسلامية متكوّنة من خليط جماهيري هو عبارة عن قوميات وأديان ومذاهب، فلا بدّ في حالة تشكيل عقل جمعي واعٍ أن نتعامل مع الجميع على وفق المشتركات، وضبط جميع المنظّمات الدخيلة وغيرها، ومنعها من التلاعب بعقول الناس وتفرقتهم، خصوصًا العقل الجمعي الشعبوي الذي يتأثّر بأضعف الأفكار وسهولة السيطرة على أذهان أفراده، أضف إلى ذلك أنّ جميع الحكومات في البلاد الإسلامية ليست بإسلامية ولا تعمل بالإسلام، وهي التي تسيطر على وسائل الإعلام وتعمل على بثّ التفرقة بين أبناء المجتمع الواحد؛ فلذا لا بدّ من تشكيل جبهة عريضة من الجماهير من غير تصادم معها؛ من أجل تغييرها بالطرق السلمية المتّبعة وعدم ترك هذه الحكومات التلاعب بمصير الشعوب.

المبحث الخامس:

العقل الجمعي الواعي واللاواعي(القطيع) في ضوء النصوص الإسلامية

جاء القرآن الكريم وهو يحمل لكلّ موضوع بيانًا مفصّلًا أو مجملًا، فلم يتغافل عن أيّ شيء يتعلّق بالإنسان، وما يحيط به من قريب أو بعيد، فقد قال تعالى: ﴿**وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ**﴾ [سورة النحل: 89]. وكذلك قوله تعالى: ﴿**مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ**﴾ [سورة الأنعام: 38]، وغيرها من الآيات، وكذلك ما ورد عن أبي عبدالله عليه السلام قال: «ما من شيءٍ إلّا وفيه كتابٌ أو سنّةٌ» [الكلينيّ، الكافي: ج 1، ص 114، باب الردّ إلى الكتاب والسنّة، الحديث 4]. وهذا يعني أنّ كلّ شيءٍ كان أو سيكون له إحصاء في الكتاب أو في السنّة الشريفة للمعصومين عليهم السلام، ومن الموضوعات التي طرحها القرآن أو السنّة الشريفة العقل الجمعي، سواء الواعي منه أم اللاواعي؛ إذ بيّن المعالم الكلّية لكلٍّ منهما مستعينًا بالأمثلة الواقعة في الأمم؛ ولهذا سنحاول ذكر الآيات والروايات المتعلّقة بهذا الموضوع ليتّضح الأمر فيهما:

أوّلًا: العقل الجمعي الواعي واللاواعي في القرآن الكريم

لو رجعنا إلى الآيات المباركة لوجدناها قد تناولت العقل الجمعي بقسميه ـ الواعي واللاواعي ـ في أكثر من مورد، وقد ركّزت في ذكره وتكراره كثيرًا للخطورة الكبيرة التي يحمله بعضهما خصوصًا العقل اللاواعي؛ لما يحصل من مآل الناس لو اتّبعوه؛ لأنّ الأكثرية تمثّل هذا القسم، وخطورته تكمن في أنّ كلّ الصفات السلبية منطبقة عليهم؛ ولذلك عبّرت الآيات عن الأكثرية بأنّهم ﴿**لَا يُؤْمِنُونَ**﴾ [سورة البقرة: 100]، أو ﴿**لَا يَعْقِلُونَ**﴾ [سورة المائدة: 103]، أو ﴿**لَا يَعْلَمُونَ**﴾ [سورة الأنعام: 37]، أو ﴿**لِلْحَقِّ كَارِهُونَ**﴾ [سورة المؤمنون: 70]. فمع كلّ هذه الصفات التي يتّصف بها الأكثرية يصبح خطرها واضحًا وأثرها بيّن؛ إذ بإمكانها أن تؤثّر وبشكل كبير على أيّ حركة تحصل في المجتمع، بل وتغيّر مجرى الحياة في الأمّة؛ ولهذا فإنّ من استطاع السيطرة على هذه الجموع الكبيرة وتمكن من تأسيس عقل جمعي منهم، كان بإمكانه إدارة الأمّة وبناء فكر وثقافة خاصّة بهم تتلاءم مع ما يتبنّاه، ولأهمّية الأمر نجد أنّ القرآن الكريم قد أشار في آياته إلى القسمين من العقل الجمعي:

1ـ العقل الجمعي الواعي في القرآن

اهتمّ القرآن الكريم في آياته بالعقل الجمعي الواعي وميّزه عن غيره من خلال الدعوة إلى تشكيله في المجتمع الإنساني، فضلًا عن الإسلامي؛ لأنّه يمثّل الجهة الراجحة التي يمكن أن تؤثّر في الجماعة وترشدهم إلى طريق الحقّ، خصوصًا إذا كانت النخبة المؤمنة هي التي تقود الأمّة، وهي الموجّهة لبوصلة الناس نحو الهداية ونحو الإصلاح الفكري والإصلاح المجتمعي، فمن الآيات التي تدعو لتأسيس عقلٍ جمعيٍّ واعٍ هي:

أ ـ قوله تعالى: ﴿**وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنْ الْمُنْكَرِ وَأُوْلَئِكَ هُمْ الْمُفْلِحُونَ**﴾ [سورة آل عمران: 104] وهذه الآية المباركة بصدد الدعوة البناءة لتأسيس العقل الجمعي النخبوي يقع على عاتقه مسؤولية الدعوة إلى الخير والأمر بالإصلاح ونبذ الفساد لغرض تحقيق الغاية من ذلك وهي الفلاح، وقد أكّد القرآن في آية أخرى أنّ هذه الأمّة التي يتحقّق فيها العقل الجمعي النخبوي الواعي كالجماعة المتبّعة للأنبياء عليهم السلام الذين يجتمعون على مقصد واحد [انظر: الطبرسي، مجمع البيان، ج 2، ص 357]، فهذه الأمّة ليست تدعو إلى الخير وحسب بل هي خير الأمم: ﴿**كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنْ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللهِ**﴾ [سورة آل عمران: 110]. فإن تركت هذه الفريضة المقدّسة فإنّ أشرار الأمّة سيشكّلون عقلًا جمعيًّا يتسلّطون معه على المجتمع، ويديرون أموره، وبالتالي لا ينفع الندم، وهو ما أشار

إليه الحديث الوارد عن محمّد بن عمر بن عرفة قال: «سمعت أبا الحسن عليه السلام يقول: لتأمرنّ بالمعروف ولتنهنّ عن المنكر أو ليستعملنّ عليكم شراركم، فيدعو خياركم فلا يستجاب لهم» [الكليني، الكافي، ج 5، ص 56، الحديث 3]. إذن القرآن يأمر أبناء الأمّة بتشكيل عقل جمعي واعٍ يدعو إلى الخير ليكون أثره الإيجابي كبيرًا ليتمكن من إصلاح جميع الجوانب في المجتمع، وهو ما أشار إليه قوله تعالى: ﴿**الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ**﴾ [سورة الحجّ: 41].

ب- قوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ فَآمَنَتْ طَائِفَةٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَفَرَتْ طَائِفَةٌ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَى عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ**﴾ [سورة الصفّ: 14]. إنّ التكتّل النخبوي الذي يتشكّل في خضمّ الأحداث يمكن أن يؤسّس لمرحلة بناء كبرى تتكفّل في تحقيق الأهداف التي من أجلها تتحرّك كلّ الجماعات، وهذا ما سعى له نبيّ الله عيسى بن مريم عليه السلام في بناء عقل جمعي نخبوي يقوده الحواريون؛ من أجل تشكيل أيديولوجيا رائدة في المجتمع، يملكون فيها التأثير العميق والقدرة على تعميم أفكارهم الصحيحة التي تدفع الناس إلى تقبّل الواقع التكاملي والتصديق بالمنهج البنائي على أنّه أمر حتمي وطبيعي ومألوف؛ لتنتقل تلك الأفكار التي يؤسّسون لها من خلال التنشئة الاجتماعية إلى الأجيال القادمة؛ حتّى تصبح هذه الأيديولوجيا جزءًا من معتقد الأمّة المقدّس والركيزة الأساسية للتماسك في البناء الفكري والاجتماعي لجميع الأفراد؛ ولهذا نجد أنّ العقل الجمعي الذي يُبنى من الجماعة الصالحة يكون تابعًا للأهداف والرؤى الثابتة لا للأشخاص بما هم أشخاص كما عبّر عن ذلك الحواريون عندما سألهم نبيّهم: ﴿**مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ**﴾، فلم يدّعوا أنّهم أنصاره، وإنّما قالوا: ﴿**نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ**﴾، فالهدف الأسمى الذي يتّبعونه هو نصرة دين الله، وهذا هو الغاية في أصل الدعوة إلى تشكيل العقل الجمعي النخبوي، فالأمر لا ينحصر بالحواريين، بل يعمّ الجميع في أنّ هنالك دعوةً إلى نصر دين الله جلّ جلاله، وخصوصًا من المؤمنين، وقد أكّد القرآن الكريم ذلك بقوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ**﴾ [سورة محمّد: 7]. ولا إشكال في أنّ عاقبة أصحاب العقل الجمعي النخبوي المؤمن هي البشارة بالفوز والهداية إلى الطريق الحقّ ويؤكّده قوله تعالى: ﴿**فَبَشِّرْ عِبَادِ ۝ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ**﴾ [سورة الزمر: 17 و18]. فدعوة القرآن الكريم لم تنحصر في بناء جسور العقل الجمعي عند المجتمع المؤمن، بل تعدّت ذلك إلى المجتمع العالمي، فدعاهم إلى تأسيس هذا العقل من خلال المشتركات التي تجمع أهل الأديان السماوية، فقال تعالى: ﴿**قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ**﴾ [سورة آل عمران: 64]. ويتبيّن من ذلك أنّ القرآن

الكريم لم يغفل الإشارة إلى العقل الجمعي الواعي في آياته، بل تناوله في العديد منها، غير أنّ المقام لا يسع لتعداد المزيد، ونكتفي بما تمّ ذكره من الآيتين الدالّتين على هذا العقل.

2ـ العقل الجمعي اللاواعي في القرآن

لم يكن اهتمام القرآن الكريم مقتصرًا على ذكر العقل الجمعي الواعي في ضمن آياته، وإنّما تجاوز إلى بيان صور ومعالم العقل الجمعي اللاواعي الذي يتأسّس في ظروف معيّنة وأسباب قد تشكّل العامل الرئيس في بنائه وتكوينه؛ لأنّه عقل تكمن مخاطره في تشكيله، كما ويعدّ العقبة الكبرى ـ تاريخيًّا ـ في البناء الإيجابي للمجتمع، فما من دعوة حقٍّ خرجت في الأمّة إلّا وكان المخالف لها والمعترض عليها جهلة الناس وأصحاب المصالح والنفوذ، وقد حذّرت الآيات الكريمة من تأسيس هذا العقل والجري على وفقه، خصوصًا ـ كما ذكرنا في السابق ـ أنّ هذا العقل يمثّل الأكثرية البشرية المنضوية تحته؛ ولهذا تعظم مخاطره وتتّسع، وقد ذكر القرآن الكريم الكثير من المفاسد التي نشأت من خلال هذا العقل الجمعي في المجتمعات، وصوّرت لنا ذلك في آياته:

أ ـ قال تعالى: ﴿**قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ**﴾ [سورة المائدة: 100]. وضع القرآن الكريم في آياته الميزان الأسمى لمقايسة الأعمال والتوجّهات على وفق ما يحقّقه ذلك الفعل أو التوجّه من كمالٍ ورقيٍّ من خلال ماهيته وكيفيته لا كثرته أو قلّته ـ فالكثرة قد تكون مضرّةً ومرفوضةً وهو ما شاهدناه في الآيات المتقدّمة ـ فلا يمكن مقايسة الحقّ بالباطل أو الخير بالشرّ أو الخبيث بالطيّب؛ إذ لا يصحّ جعل أحدهما كالآخر، فالعمل الصالح مقدّم على العمل الطالح والحسنة راجحة على السيّئة؛ ولهذا أقرّ القرآن بعدم المساواة بين الأعمال وما تنتجه، فالكثرة أو القلّة ليست هي معيار الترجيح، وقد ضرب لنا من الأمثلة الكثيرة على ذلك، فقد قال تعالى: ﴿**مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالْأَعْمَى وَالْأَصَمِّ وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا أَفَلَا تَذَكَّرُونَ**﴾ [سورة هود: 24]. وكذلك قوله تعالى: ﴿**وَضَرَبَ اللهُ مَثَلًا رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَى مَوْلَاهُ أَيْنَمَا يُوَجِّهُّ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ**﴾ [سورة النحل: 76]. وكذلك قوله تعالى: ﴿**قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ**﴾ [سورة الزمر: 9]. فهذه الأمثلة القرآنية ناظرة إلى سبب الترجيح وهو الفعل نفسه لا كمّيته؛ لأنّ ثمّة من يظنّ أنّ كثرة اتّباع الخبيث أو ما يسمّى بـ"الأكثرية" تجعله في مصافّ الطيّب، كما يحدث أحيانًا أنّ نرى بعضهم يقع تحت تأثير الجماعة واتّجاه أهواء الأكثرية، ظانًّا أنّه حيثما مالت الأكثرية كان ذلك دليلًا قاطعًا على صحّة ما تبنّته، بينما الأمر ليس كذلك، والقضايا التي أيّدتها الأكثرية وظهر بطلانها كثيرة جدًّا، وفي الواقع إنّ ما يميّز الخبيث من الطيّب هو الأكثرية

الكيفيـة لا الكمّيـة، أي أنّ المطلـوب هـو أفـكار أقـوى وأرفـع وأسـمى وأنقى لا كـثرة المؤيّديـن، وهذه القضيّـة لا تلائـم أذواق بعـض النـاس في العـصر الحـاضر، بعـد أنّ تشـبّعت أذهانهـم نتيجـة التلقين والضـخّ في وسـائل الأعـلام بـأنّ الأكثريـة هي معيار معرفـة الخبيث من الطيّـب، إلى حـدّ الإيمان بأنّ "الحـقّ" هـو مـا أرادته الأكثريـة، و"الطيّـب" هو ما مالـت إليه الأكثريـة، والعكس هـو الصحيح، فإنّ معظـم مشـاكل العالـم ناتجـة عن هـذا اللون مـن التفكـير. نعـم، إذا تمتّعـت الأكثرية بقيـادة صادقة وتعليمـات صحيحـة، بحيـث تؤلّـف أكثريـةً ناضجـةً بمـا للكلمة من معـنًى، فيمكـن حينئـذٍ اعتبار هـذه الأكثريـة واتّجاهاتهـا مقيـاس تميـيز الخبيث مـن الطيّـب، وهذا ما أشـار إليه أمـير المؤمنين عليه السلام في بعـض كلماتـه إذ قـال: «وَالْزَمُـوا السَّـوَادَ الْأَعْظَـم؛ فَإِنَّ يَـدَ اللهِ مَـعَ الْجَمَاعَةِ، وَإِيَّاكُـمْ وَالْفُرْقَـةَ! فَإِنَّ الشَّـاذَّ مِـنَ النَّاسِ لِلشَّـيْطَانِ، كَمَا أَنَّ الشَّـاذَّةَ مِنَ الْغَنَـمِ لِلذِّئْبِ» [نهج البلاغـة، ص 184، من كلام لـه عليه السلام، الرقم: 127] فالمـراد مـن السـواد الأعظـم الذي أمرنـا الإمام عليه السلام بلزومه هو الأكثريـة الحقّة التي تؤسّـس للبناء التكامـلي لا الأكثريـة الفجّـة غـير الناضجـة، وقـد حـذّر القـرآن الكريم «النـاس من الانجـراف مع أكثريـة الخبثـاء ... الذيـن يحسـبون أنّ كـثرة الخبيث دليـل على صحّة ما يذهبـون إليه، فلا بـدّ من الردّ على هـؤلاء، وتعريفهـم بـأنّ معيـار الخباثة والطيبة لـم يكن في يوم من الأيّـام هو الأكثريـة أو الأقلّية، بـل في كل زمـان ومكان كان "الطيّب" خـيرًا من "الخبيـث"، وأنّ أصحاب الحجى والتبـصّر لا ينخدعون بالكـثرة، فهـم يتجنّبـون الخبيـث دائمًـا، حـتّى وإن تلـوّث بـه جميـع المحيطين بهـم، ويندفعـون نحو الطيّـب حـتّى وإن ابتعـد عنـه الجميع» [انظر: مـكارم الشـيرازي، تفسـير الأمثـل، ج 4، ص 161]. لأنّه مـن الممكن أن تكـون طاعـة النـاس وانقيادهم مـع الجماعة الـتي اجتمع عليهـا الجمهور ورضيـت بها العامّـة والهمج والـرعاء، وملكهـم ورئاسـتهم لمـن غلـب على الأمـر، واسـتولى على البـلاد؛ لذا تحـذّر الآيـة المباركـة مـن الانصيـاع وراء الجماعـة الـتي تمثّل الفسـاد والمؤسّسـة للعقل الجمـعي اللاواعي الذي عـبّرت عنه بـ﴿كَثْرَةُ الخَبِيثِ﴾ فيلـزم الوقـوف عنـد ذلك الحـدّ وعدم الانخـراط مع أتبـاع هذا العقـل وإن كانوا يمثّلـون الأكثريـة؛ لأنّ المـدار في الاتّبـاع هـو معرفـة الحـقّ وتميـيزه عـن الباطـل، فالحـقّ لا يعـرف بالرجـال ولا بكـثرة الأتبـاع، وهذا ما أوضحه أمـير المؤمنين عليّ بـن أبي طالب عليه السلام إذ قـال: «إنّ الحق والباطـل لا يعرفـان بأقـدار الرجـال، اعرف الحقّ تعـرف أهله، واعـرف الباطل تعرف أهلـه» [البلاذري، أنسـاب الأشراف، ج 2، ص 239]؛ ولذا فـإنّ «إطاعـة الأكـثر سـبب للضلالـة وأنّ مخالفتهـم سـبب للهدايـة وعلى هـذا لا يجـوز متابعـة الأكـثر إلّا إذا كان هنـاك دليـل على أحقّيّتهـم، فالمتّبـع حينئـذٍ هـو الدليـل دون الكـثرة مـن حيـث هي» [المازنـدراني، شرح أصـول الـكافي، ج 1، ص 130]. وقـد نتصـوّر الانصيـاع والإذعان الأعـمى مـن قبـل الأمّـة إمّا من خـلال فرض الدخـول في الجماعـة كما في قـول بعضهم لأمـير المؤمنين عـليٍّ عليه السلام: «رأيـك مـع الجماعة أحبّ إلينـا من رأيك وحـدك» [ابـن أبي الحديـد، شرح نهـج البلاغـة، ج 7، ص 73].

أو من خلال تقليد آبائهم ليصبح تقليدهم هذا عقلًا جمعيًّا كبيرًا بحيث يلغى العقل الفردي وتعطّل ملكة التفكير الناقد وتلغى الفطرة وتنحصر توجهات الأمّة في آراء الجماعة المتمثّلة في العقل الجمعي التابع لتقليد الآباء، فتتقاذفها الأهواء وتكون السيطرة والغلبة لهذه الجماعة أو تلك، فقد قال تعالى: ﴿**وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنزَلَ اللهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ**﴾ [سورة المائدة: 104].

ب ـ قال تعالى: ﴿**وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ ۞ فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبُرًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ**﴾ [سورة المؤمنون: 52 و53]. إنّ الله تعالى خلق الناس جميعًا من مورد واحد والأصل فيهم أبو البشر آدم عليه السلام الذي كان بداية الحياة الإنسانية على هذه الأرض، وهو ما أشار إليه قول النبيّ محمّد صلى الله عليه وآله: «إنّ ربّكم واحد وإنّ أباكم واحد، كلّكم لآدم وآدم من تراب، إنّ أكرمكم عند الله أتقاكم» [المجلسي، بحار الأنوار، ج 73، ص 350، الحديث 13]. إلّا أنّ هذا لم يمنع الناس من الاختلاف والافتراق في ضوء ميولهم وتوجّهاتهم، فتقطّعوا بينهم جماعاتٍ وتكتّلاتٍ وأحزابًا فـ«كلّ جماعة أو حزب يتحدّث بما تشتهي نفسه، ويصرّ على رأيه، فهنالك استعراض لحقيقة نفسيّة واجتماعية، هي أنّ التعصّب الجاهلي للأحزاب والفئات يمنع وصولها إلى الحقيقة! لأنّ كلًّا منها قد اتّخذ سبيلًا خاصًّا به، وأصبح في قوقعة لا تسمح لنور جديد بالدخول إلى قلبه، ولا بنسيم معنوي يهبّ على روحه ليكشف لها حقيقةً من الحقائق، وهذه الحالة نتجت عن حبّ الذات المفرط والعناد، وهما أكبر عدوٍّ للحقيقة، ولوحدة الأمّة. إنّ الاعتزاز بالنمط الذي تعيشه كلّ فئة واحتقار سواها يجعل الإنسان يصمّ أذنيه عن كلّ صوت يخالف ما اعتقده، ويُغطّي رأسه بثوبه، أو يلجأ إلى الفرار خوفًا من تجلّي حقيقة على خلاف ما اعتاد عليه، وقد ذكر القرآن الكريم كلام نبيّ الله نوح عليه السلام عند بيان حال مشركي زمانه في قوله تعالى: ﴿**وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا**﴾ [سورة.نوح: 7]؛ ولذلك لا يمكن للإنسان الوصول بنفسه إلى الحقّ إلّا بعد التخلّص من حالة التعصّب الجاهلي وإنهاء حالة العناد» [مكارم الشيرازي، تفسير الأمثل، ج 10، ص 467].

وكم من هؤلاء الناس الذين يتّصفون بهذه الصفات في مجتمعاتنا، والذين ينساقون خلف مدّعياتهم، ويتبنّون أفكار غيرهم ممّن يسيطر على مجريات حياتهم ـ سواءٌ السياسية أو الاقتصادية أو الاجتماعية أو الفكرية ـ فيفرحون بما عندهم، ويعتقدون أنّ هذا هو الحق، وعلى شاكلة هؤلاء كثير؛ لتتشكّل من خلالهم العقول الجمعية اللاواعية المبنيّة على وفق الاختلاف الحزبي أو غيره، والتي تتحرّك في ضوء معطيات الجهل والعناد والتعصّب والتأثير الإعلامي المناوئ، والآيات في هذا القسم كثيرة فنكتفي بما ذكرناه.

ثانيًا: العقل الجمعي الواعي واللاواعي في السنّة الشريفة

لم تغفل الأخبار الواردة عن المعصومين عليهم السلام الإشارة إلى مفهوم العقل الجمعي بكلا قسميه الواعي واللاواعي؛ إذ شاركت القرآن الكريم في بيان ذلك، وقد أوضحت هذه الروايات صور العقل الجمعي مظهرةً أهمّيته وخطورته في الوقت نفسه، وما يمكن أن يتسبّب فيه من المشاكل التي قد تغيّر مسيرة الأمم، وخصوصًا إذا ركب موج القيادة والتوجيه من هو ليس أهلًا لذلك، وقاد الجمع من هو أجهل منهم، أو قادهم من يريد تحقيق أغراضه الشخصية؛ ولذا لا بدّ من عرض هذا العقل على الأحاديث لنعرف كيف تناولته في مضامينها:

1ـ العقل الجمعي الواعي في السنّة الشريفة

تكمن الأهمّية الأساسية للعقل الجمعي الواعي في القدرة على الاصطفاف الإيجابي الذي يساعد في تغيير القناعات لدى الشعوب والمشاركة في بناء الآراء الصحيحة، وتوحيد أنماط التفكير والمساهمة في تعديل توجهات أبناء الأمّة، بحيث يصبح الحقّ هو الميزان الذي تنقاد إليه الأمور، خصوصًا إذا كانت القيمة المعرفية لأهداف هذا العقل الجمعي هي الموجّه لاتّباع الحقّ وإن قلّ الأتباع، فإنّ الكثرة ليست هي المعيار في الصحّة والخطإ أو الحقّ والباطل؛ إذ من الممكن أن يكون الشخص الواحد يمثّل أمّةً كاملةً، كما وصف ذلك القرآن الكريم في نبيّ الله إبراهيم، فقد قال: ﴿**إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً**﴾ [سورة النحل: 120]؛ لذلك قال البعض إنّ: «الجماعة أن تكون على الحقّ ولو كنت وحدك» [اللالكائي، شرح أصول اعتقاد أهل السنّة والجماعة، ص 121]؛ لذلك يتوجّب على قيادة العقل الجمعي الواعي أن تعرّف الحقّ للآخرين الذين هم تحت مسؤوليتها، خصوصًا إذا كانت هذه القيادة ـ مضافًا إلى كونها تتمتّع بالوعي ـ متديّنةً وعالمةً بالحقائق؛ لذلك نرى أنّ أهل البيت عليهم السلام أكّدوا أنّ العقل الجمعي لا بدّ أن يكون مبنيًّا على أساس التفقّه في الدين وإعمال العقل في تحليل القضايا، وكلّ ما من شأنه أن يساعد في التكامل الفكري والعقدي، حتّى وإن كان أصحاب العقل الجمعي الواعي قلّةً في المجتمع، فعن مولى الموحّدين عليٍّ عليه السلام في حديث طويل قال: «... ومن فرقة قد تفقّهوا في الدين، وعرفوا سبب الإمامة، وأين محلّها، ولكنّهم قليل في كثير، وخيار في كلّ زمان، وإن كثروا فهم أقلّ عددًا من الباقين» [الطبري، المسترشد، ص 123]. فكثرة الأتباع ليست دليلًا على صحّة المدّعى، كما أنّ قلّتهم ليست دليلًا على ضعفها أو فسادها، فلا الكثرة صائبون دائمًا ولا القلّة مخطؤون كذلك؛ لأنّ المدار في الصواب والخطإ هو اتّباع الحقّ، فلا يمكن للإنسان أن يلغي عقله أو يغمض عينه فيتّبع الأشخاص من دون تمييز بين الحقّ والباطل ـ كما هو شأن جهلة عصرنا الحاضر ـ بل لا بدّ أن نعرف الحقّ بما هو حقٌّ فنكون من أهله ومناصريه، وأن نميّز

الباطل لبطلانه فنتركه ونعاديه، لا أن يكون المدار في الحقّ والباطل هو الأشخاص ومقاماتهم، وقد أشار أمير المؤمنين عليه السلام في الحديث المتقدّم إلى هذا المعنى وأنّ الحقّ والباطل لا يعرفان بالرجال. وعنه أيضًا عليه السلام قال: «من تعدّى الحقّ ضاق مذهبه، من جهل شيئًا عاداه، أسوأ الناس حالًا من لم يثق بأحد لسوء ظنّه، ولم يثق به أحد لسوء فعله، لا دليل أنصح من استماع الحقّ» [الكراجكي، كنز الفوائد، ص 283]. ولهذا كان العقل الجمعي ـ الذي هو تجميع عقول الناس لا استغفالهم وتبعيتهم ـ مهمًّا في بناء الأمّة الناجحة والصالحة؛ لذلك نجد أنّ أهل البيت عليهم السلام أثبتوا الركائز الأساسية لبناء العقل الجمعي الواعي من خلال الوجهة الأصلية لأفراد هذا الجمع وهي اتّباع الحقّ.

2ـ العقل الجمعي اللاواعي في السنّة الشريفة

يتفاوت شدّة الخطاب وضعفه تبعًا لأهمّية موضوعه وما يمثّله من خطورة على مستقبل الأمّة وما يرافقه من تبعات عليها؛ ولذا جاءت الأخبار في بيان حقيقة العقل الجمعي اللاواعي لتوضّح هاتين الميزتين (الأهمّية التي ينطوي عليها العقل الجمعي اللاواعي وخطورته)؛ ولهذا نرى أنّ كلّ حديث يتناول هذا العقل يشير إلى مخاطره وسلبياته والآثار المترتّبة عليه، بل هنالك من الأخبار الواردة ما تحذّر منه ومن الاصطفاف معه، فقد ورد عن عليٍّ عليه السلام قوله: «الناس ثلاثة: فعالم ربّاني ومتعلّم على سبيل نجاة، وهمج رعاع أتباع كلّ ناعق يميلون مع كلّ ريح، لم يستضيئوا بنور العلم، ولم يلجؤوا إلى ركن وثيق» [نهج البلاغة: الحكمة 147]. وهذا التقسيم الثلاثي هو قسمة حقيقية وقراءة للواقع المعاش في المجتمعات، فلا تجد مجتمعًا لا يتركّب من هذه الأقسام خصوصًا القسم الثالث الذي يضمّ النسبة الأكبر من أفراده؛ ولذا كان التحذير من الركوب في موجتهم والسير معهم، فعن أمير المؤمنين عليه السلام: «كُنْ عالمًا ناطقًا أو مستمعًا واعيًا، وإيّاك أن تكون الثالث» [الليثي الواسطي، عيون الحكم والمواعظ، ص 391]. فمكمن الخطر كلّه يكون في زيادة عددهم وفي كثرتهم فتتّسع الأضرار، وهو ما أشار إليه مولى الموحّدين عليه السلام في بيان صفة الغوغاء بقوله: «هم الذين إذا اجتمعوا غلبوا، وإذا تفرّقوا لم يعرفوا». وقيل: بل ما قال عليه السلام: «هم الذين إذا اجتمعوا ضرّوا، وإذا تفرّقوا نفعوا. فقيل قد عرفنا مضرّة اجتماعهم فما منفعة افتراقهم؟ فقال: يرجع أصحاب المهن إلى مهنتهم فينتفع الناس بهم، كرجوع البنّاء إلى بنائه، والنسّاج إلى منسجه، والخبّاز إلى مخبزه» [نهج البلاغة: الحكمة 199]. وعنه عليه السلام قال: «... ومن همج رعاع لا نظام ولا اختيار عندهم، وهم الأعراب وأشباه الأعراب، أجلاف يتفرّقون من حيث يجتمعون، ويجتمعون من حيث يتفرّقون، لا تؤمن صولتهم إذا هاجوا، ولا يؤمن هيجهم إذا سكتوا، إن أحصنوا بغوا، وإن أجدبوا أثاروا» [الطبري، المسترشد، ص 123]. فإنّ هؤلاء يتحرّكون على

مقتضى جهلهم، ويفسدون بلا شعور ويتخطّون الحدود، ويتجاوزون كلّ شيء بلا مسوّغ لهم فهم: «لا شعور لهم ولا فكر، وجمعتهم تُميت الحقّ وتحيي الباطل» [انظر: الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ج 16، ص 394]. فعلى جهلهم ينطبق قول الإمام عليٍّ عليه السلام: «أقلّ الناس قيمةً أقلّهم علمًا؛ إذ قيمة كلّ امرئٍ ما يُحسنه، وكفى بالعلم شرفًا أنّه يدّعيه مَن لا يحسنه ويفرح إذا نُسب إليه، وكفى بالجهل ذمًّا أنّه يبرأ منه مَن هو فيه ويغضب إذا نُسب إليه، والناس عالمٌ ومتعلّمٌ وساير الناس همجٌ رُعاع لا خير فيهم» [ابن الصبّاغ المالكي، الفصول المهمّة، ص 551].

المبحث السادس:

الآثار والتداعيات للعقل الجمعي الواعي واللاواعي على الفكر الديني

أوّلًا: الآثار والتداعيات الإيجابية في العقل الجمعي الواعي

1ـ أنّ النخبة المنضوية تحت هذا العقل يمكن أن تكتسب بواسطة العدد المتجمّع شعورًا عارمًا بالقوّة والسيطرة، وهذا ما يتيح لها طرح بعض الأفكار التي تتبنّاها النخبة، وبالتالي ستحصل على التأييد لما تريده وتحقّق مصالحها مستندةً في ذلك على الآخرين؛ لذا فمن الممكن أن يستفاد الجمع النخبوي المؤمن من توجيه العقل الجمعي الشعبوي إلى الإيمان بمقرّرات الفكر الديني من خلال توظيف المشتركات المتعلّقة بالفكر الصحيح بين الأمم كما في قوله تعالى: ﴿**قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللهِ**﴾ [سورة آل عمران: 64].

2ـ يمكن من خلال قيادة العقل الجمعي الواعي(قيادة النخبة) أو ممّن يملكون التأثير العميق في هذا العقل تعميم الأفكار السليمة والحقّة، وأن يشكّلوا أيديولوجيا صحيحةً في المجتمع تدفع الناس إلى تقبّل الواقع الجديد والتصديق بالمنهج التكاملي على أنّه أمر حتمي وطبيعي ومألوف؛ لتنتقل تلك الأفكار من خلال التنشئة الاجتماعية إلى الأجيال القادمة؛ حتّى تصبح هذه الأيديولوجيا جزءًا من معتقد الأمّة وركيزةً أساسيةً في البناء الفكري والاجتماعي لجميع أفراد لمجتمع؛ ليكون العقل الجمعي الواعي ذا تأثير واضح في اتّجاه سلوكيات الأفراد؛ لأنّها تشترك مع قناعاتهم وأفكارهم ليشكّل وعيًا جمعيًّا أيديولوجيًّا ينبع من الإيمان بالرؤى التي أجمعوا على أحقّيتها، كالإيمان مثلًا بفكرة المصلح العالمي الذي يقود البشرية على وفق مبدإ العدل والمساواة وإنصاف الناس ومحاربة الظلم والفساد، والتأسيس لهذه النظرية الإسلامية التي ستقود الأمم في آخر الزمان على أنّها الفكرة الصحيحة التي يسعى الناس لتحقيقها؛ لهذا أصبحت المطالبة بالمصلح العالمي أملًا يرغب فيه الناس جميعًا؛ لأنّه «يملأ الأرض قسطًا وعدلًا كما مُلئت ظلمًا وجورًا» [الصدوق، التوحيد، ص 82، باب التوحيد ونفي التشبيه، الحديث 73].

3ـ الترابط بين العقول الجمعية وقدرتها على التناسُق فيما تحمله من مفاهيم مشتركة، ومن ثمّ ترجع في هذا إلى إحكام المقاييس الصحيحة في الأعمال والقناعات؛ للمحافظة على التوازن للسلوك الاجتماعي العامّ؛ لتستطيع هذه الجماعة إصلاح الأوضاع أو تغييرها بالحكمة والموعظة الحسنة التي تؤدّي إلى نصرة الحقّ، وإدارة المجتمع بالأمانة والعدل والإنصاف؛ لتسير الجماعة في حركتها سيرًا طبيعيًّا سويًّا قائمًا على الأفكار التي آمنت بها، وما سنّتها من أحكام ليصبح قول الله تعالى ﴿**إِنْ تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ**﴾ [سورة محمّد: 7] منطلقًا لتحقيق الغايات الدينية التي أريد لها أن تحيا في الأرض.

ثانيًا: الآثار والتداعيات السلبية في العقل الجمعي اللاواعي

1ـ العدوى العقلية أو الذهنية لدى الجمهور، فإنّ كلّ عاطفة أو فعل هما معديان بطبيعتهما إلى حدّ أنّ الفرد يضحّي بسهولة كبيرة بمصلحته الشخصية من أجل المصلحة الجماعية، وهذه قابلية معاكسة لطبيعته، فتتلاشى الشخصية الواعية لديه وتهيمن الشخصية اللاواعية، فيتوجّه الجميع ضمن الخطّ نفسه بواسطة التحريض والعدوى للعواطف والأفكار. [انظر: لوبون، سيكولوجية الجماهير، ص 58]

ومن هنا يمكن تجاوب العقل الفردي المبدع أو العقل النخبوي للحلول الوسطية الإرضائية، وهذا مكمن الخطر؛ لأنّ ذلك سيؤدّي إلى بداية الانحدار الحضاريّ للأمّة عن المستوى المناسب لمرحلتها أو اللائق بعقيدتها ومبدئها في الحياة؛ لأنّ عدم إدراك الفرد لحقيقة أنّ تأثير العقل الجمعي اللاواعي قد يقوده لاإراديًّا إلى فعل أشياء واكتساب سلوكيات تلغي الوعي والضمير، فتجعل الهدف الأسمى (هدف الجماعة) فوق هدف الفرد، وتعدّ كلّ مخالف لهذا الهدف ـ وإن كان اختلافه معه حول أشياء ثانوية ـ العدوّ.

2ـ يوجد في الأفراد المنخرطين في الجماعة صفات خصوصية لكلٍّ منهم، ولكن قد يوضع الفرد في موقف معيّن يفقد فيه شخصيته الواعية، وبالتالي يخضع لكلّ الاقتراحات الصادرة من المجموع، وبذلك قد يقترف أعمالًا مخالفةً لطبعه الحقيقي وعاداته، فتتحوّل عندئذٍ الأفكار المحرَّض عليها إلى فعل وممارسة مباشرة، فلا يعود الفرد هو نفسه، وإنّما يصبح عبارةً عن إنسان آلي ما عادت إرادته بقادرة على أن تقوده. [انظر: المصدر السابق، ص 59]

3ـ أنّ تنازل الفرد عن عقله الشخصي يعني أنّه سيفقد إرادته واختياره، وبالتالي سيكون هنالك إهمال لتفكيره وقراره الشخصي وذوبانه في الآخرين، ممّا يضيّع عليه الكثير من القرارات الصائبة؛ إذ من الممكن أن يكون هنالك قرار أفضل من القرار الذي اتّخذته الجماعة فيضيّع على نفسه فرصة الحصول على القرار الأفضل باتّباعه للجماعة. [انظر: المصدر السابق، ص 60]

أضف الى ذلك أنّ المتسلّط في العقل الجمعي سيحوّل الإبداع في العقل الفردي إلى كسل وعزلة، بحيث يُنزل شخصية الفرد من مستوى الذكاء الواعي إلى كونها شخصيةً ضعيفةً تختفي فيها مقوّمات الفكر المنتج، وينخفض فيها التفكير الإيجابي وجوانب التحليل العلمي، فبمجرّد أن ينخرط الفرد في الجمهور فإنّ مستواه الفكري ينخفض الى حدٍّ بعيدٍ. [انظر: المصدر السابق، ص 76]

4ـ عدم امتلاك الجماهير الشعبية ـ المجتمعة خارج دائرة اختصاصهم ـ أيّة فكرة واضحة ومعقلنة، وبالتالي فهم عاجزون عن قيادة أنفسهم بأنفسهم، ومن هنا يأتي دور القائد الذي يقودهم، والذي يلعب دورًا كبيرًا بالنسبة للجماهير البشرية؛ إذ أنّ إرادته تمثّل النواة التي تتحلّق حولها الآراء وتنصهر فيها، والجمهور عبارة عن قطيع لا يستطيع الاستغناء عن سيّده، فالكثرة تصغي دائمًا للإنسان المزوّد بإرادة قويّة، وبما أنّ الأفراد المجتمعين في الجمهور يفقدون كلّ إرادة، فإنّهم يتّجهون غريزيًّا نحو ذلك الشخص الذي يمتلكها. [انظر: المصدر السابق، ص 127 – 129] فلو كان القائد لهذه الجماهير على مرتبة عالية من الرقيّ والكمال، وعلى درجة عالية من الإيمان ويضع كلّ شيء في موضعه وبحسب الموازين الشرعية، فهذا سيجعل من مسيرة الجماهير أكثر تكاملًا، ويتكامل معهم العقل الجمعي.

5ـ أنّ سرعة انفعال الجماهير بالأطروحات والأفكار التي تعرض لهم، وسرعة تأثيرهم وتأثّرهم وتصديقهم بالشعارات المطروحة، والتي تستجدي عواطفهم سوف تدفع بهم إلى التعصّب والاستبداد، وهذا ما سيؤثّر كثيرًا على مستوى أخلاقياتهم؛ لأنّها تنخفض في الاجتماع قطعًا خصوصًا الاجتماع غير المنضبط.

الخاتمة

وممّا تقدّم من الكلام يمكن أن نصل إلى:

1ـ أنّ مدار العقل الجمعي دائر بين الإيجاب والسلب، فليس كلّ جمع عقلي يكون دائمًا سلبيًّا ومرفوضًا، فهنالك عقل جمعي إيجابي يطلق عليه "العقل الجمعي النخبوي" وهو مقبول ومطلوب في الأمّة.

2ـ هنالك تمايز بين العقل الجمعي الواعي والعقل الجمعي اللاواعي، وهذا التمايز هو الذي فرّق بينهما من جميع الجوانب.

3ـ تمّ تقسيم العقل الجمعي بإطلاقه إلى عدّة أقسام ينصرف بعضها إلى العقل الجمعي الواعي وبعضها الآخر إلى العقل الجمعي اللاواعي.

4ـ هنالك عوامل أساسية ساعدت في نشوء كلٍّ من العقل الجمعي الواعي واللاواعي.

5ـ يمكن مواجهة العقل الجمعي اللاواعي الذي يشكّل خطرًا حقيقيًّا على الأمّة والمجتمع والسيطرة عليه من خلال بعض الأمور.

6ـ من الممكن إدارة العقل الجمعي اللاواعي وتحويله من كونه سلبيًّا مطلقًا إلى كونه عاملًا مساعدًا في تحقيق أهداف العقل الجمعي الواعي "النخبوي".

7ـ لم يغفل القرآن الكريم والأحاديث الشريفة عن ذكر العقل الجمعي الواعي واللاواعي في مضامينهما، مع الإشارة إلى مدح أحدهما وذمّ الآخر منهما.

8ـ توجد الكثير من الآثار والتداعيات المرافقة لوجود العقل الجمعي، وهذه الآثار والتداعيات دائرة بين السلب والإيجاب.

قائمة المصادر

القرآن الكريم.

نهج البلاغة.

ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب، الناشر: آداب الحوزة، قمّ، 1363 ش.

حبيش، طه، الأخلاق في إطار النظرية التطوّرية، الناشر: كلّية أصول الدين، القاهرة، 2010م.

دوركايم، إميل، الانتحار، ترجمة: حسن عودة، الناشر: الهيئة العامّة السورية للكتاب، وزارة الثقافة، دمشق، 2011 م.

بدوي، حمد زكي، معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، الناشر: مكتبة لبنان، بيروت، ط 2، 1982 م.

الجوهري، إسماعيل بن حماد، الصحاح في اللغة، تحقيق: أحمد عبد الغفور العطار، الناشر: دار العلم للملايين، بيروت، ط 4، 1407 هـ.

آرثر، توني، قوّة عقلك الباطن، ترجمة فريق الترجمة بالدار، مراجعة وتصحيح: حمزة عبد الصمد، الناشر: مكتبة الهلال، القاهرة، ط 2، 2010 م.

جيمس، ك. فان فليت، القوّة الخفيّة للعقل الباطن، الناشر: مكتبة جرير، السعودية، ط 3، 2008 م.

الوردي، علي، خوارق اللاشعور أو أسرار الشخصية الناجحة، الناشر: دار الورّاق، لندن، ط 2، 1996 م.

العيسوي، عبد الرحمن، سيكولوجية التنشئة الاجتماعية، الناشر: دار الفكر الجامعي، الإسكندرية، 1984 م.

اللالكائي، هبة الله، شرح أصول اعتقاد أهل السنّة والجماعة، تحقيق: أحمد بن سعد بن حمدان الغامدي، الناشر: دار طيبة، السعودية، ط 8، 1423 هـ.

لوبون، غوستاف، سيكولوجية الجماهير، ترجمة وتقديم: هاشم صالح، الناشر: دار الساقي، بيروت، ط 1، 1991 م.

دوركايم، إميل، قواعد المنهج في علم الاجتماع، ترجمة محمود قاسم، راجعه محمد بدوي، الناشر: دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1988 م.

الزبيدي، محمد مرتضى، تاج العروس، تحقيق: علي شيري، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1414 هـ.

المجلسي، محمدباقر، بحار الأنوار، تحقيق: محمد الباقر البهبودي، الناشر: مؤسّسة الوفاء ودار الفكر، بيروت، ط 2، 1403 هـ.

الطريحي، فخر الدين، مجمع البحرين، الناشر: مرتضوي، طهران، ناصر خسرو، ط 2، 1362ش.

ابن حنبل، أحمد، مسند أحمد، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وعادل مرشد، وآخرون، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت، ط 1، 1421 هـ.

الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي، تحقيق وتصحيح وتعليق: علي أكبر الغفاري، الناشر: دار الكتب الإسلامية، طهران، ط 5، 1363 ش.

الطبرسي، الفضل بن الحسن، تفسير مجمع البيان، تحقيق وتعليق: لجنة من العلماء والمحقّقين الأخصّائيين، الناشر: مؤسّسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ط 1، 1415 هـ.

الشيرازي، ناصر مكارم، تفسير الأمثل، الناشر: مدرسة الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام، قمّ، ط 1، 1384 ش.

المازندراني، محمدصالح، شرح أصول الكافي، تعليقات: الميرزا أبو الحسن الشعراني، ضبط وتصحيح: علي عاشور، الناشر: دار إحياء التراث العربي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط 1، 1421 هـ.

المعتزلي، ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: دار إحياء الكتب العربية ـ عيسى البابي الحلبي وشركاه، بيروت، ط 1، 1378 هـ.

الطبري الشيعي، محمد بن جرير، المسترشد، تحقيق: الشيخ أحمد المحمودي، الناشر: مؤسّسة الثقافة الإسلامية لكوشانبور، قمّ، ط 1، 1415 هـ.

البلاذري، أحمد بن يحيى، أنساب الأشراف، تحقيق: سهيل زكار ورياض الزركلي، الناشر: دار الفكر، بيروت، ط 1، 1417 هـ.

الكراجكي، محمد بن عليّ، كنز الفوائد، الناشر: مكتبة المصطفوي، قمّ، ط 2، 1369 ش.

خان، وحيد الدين، الإسلام يتحدّى.. مدخل علمي إلى الإيمان، تعريب د. ظفر الإسلام خان، مراجعة وتحقيق د. عبد الصبور شاهين، الناشر: مكتبة الرسالة، الكويت 1974 م.

الليثي الواسطي، علي بن محمد، عيون الحكم والمواعظ، تحقيق: حسين الحسيني البيرجندي، الناشر: دار الحديث، قمّ، ط 1، 1376 ش.

الصدوق، محمد بن علي، التوحيد، تصحيح وتعليق: علي أكبر الغفاري، الناشر: مؤسّسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرّسين، قمّ، 1362 ش.

الطباطبائي، محمدحسين، الميزان في تفسير القرآن، الناشر: مؤسّسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ط 1، 1411 هـ.